

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid

جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

شعبة الآداب والحضارة

تخصص دراسات مقارنة في الآداب والحضارة

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الدراسات

المقارنة في الآداب والحضارة

بعنوان:

مذكرة بورك بلقايد * تلمسان *
كلية الآداب واللغات
مكتبة اللغة والآداب العربي

الزخرفة الخطية في العمارة الأندلسية

مسجد قرطبة وقصر الحمراء أموذجين

إعداد الطالب:

العاصمي محمد

إشراف:

أ.د. عمرو بومدين

السنة الجامعية : 2010-2011م

TAS. Foo_ 01 / 01

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حلمة شكر

أشكر الله عز وجل الذي عليهِ توكلت وهو خير المتوكلين .

ثم الشكر إلى الوالدين .

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور كروم بومدين ، الذي

أخذ بيدي وأنا لم لي الطريق لإنجاز هذا البحث العلمي .

وأوجه شكري إلى كل أساتذتي الذين لم يخلوا بتوجيههم وإرشاداتهم ، والشكر

موصول إلى لجنة المناقشة التي تحملت عناء القراءة والتصويب . والنصح والتوجيه السديد .

العامري محمد

إهداء

إلى والدي الكريمين، احتراماً لهما ،
واعتزازاً بجميل لا ينتهي ، إلى أستاذي المشرف
الدكتور كروم بومدين المرشد الأمين الذي ما فتى
يقدم لي توجيهاته السديدة ونصائحه الرشيدة ،
إلى إخوتي و أصدقائي إلى كل من ساعدني
من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

محمد العامري



٤ - ٥
مقدمة
أول أسئلة

الحمد لله رب العالمين، خالق السماوات والأرض مبدع الكون والإنسان والجماد
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه
بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فلقد أبدع النحاتون الأندلسيون في زخرفة جدران المساجد والقصور، حيث
استغل الفنان الأندلسي عنصر الخط العربي استغلالاً جمالياً رائعاً، وهو ما دفعني
إلى دراسة موضوع الزخرفة الخطية في العمارة الأندلسية، وهو موضوع شاسع
وغني، لهذا كان من الضروري أن أحدد موضوع هذه الدراسة باختيار أنموذجين
هما: مسجد قرطبة الجامع وقصر الحمراء.

لم يكن اختياري لهذا الموضوع عشوائياً أو وليد صدفة إنما كان عن رغبة في
التعرف إلى أساليب الزخرفة الأندلسية في مجال العمران، كما أن رغبتني في دراسة
موضوع كهذا يجمع بين الأدب والحضارة هو استجابة لتخصصي في شعبة الآداب
والحضارة .

وقد ارتكزت في تحديد إطار موضوع البحث على جملة من الأسئلة أسعى للإجابة
عنها في هذا البحث وهي كالاتي :

ماهي أساليب الزخرفة الخطية الأندلسية في مجال العمران؟ ماهو مضمون تلك
الزخارف؟

ما هي أنواع الخطوط المستعملة في الزخرفة؟ ماهي القيم الفنية والحضارية لهذه
الزخارف؟

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف هذه الأعمال الفنية الرائعة والإبداعات الناضجة في جوانبها المختلفة، واكتشاف الظواهر الفنية بقصد الوصول إلى معلومات دقيقة وتفسيرها تفسيراً يراعي مصدر الجمال لتلك الإبداعات.

أما الصعوبات التي واجهتني في أثناء عملية البحث فهي عدم تمكني من معاينة هذه الإبداعات في مواضعها بالإضافة إلى نقص في المصادر والمراجع.

طريقة تقسيم خطة البحث مستوحاة من تصور شامل لمنهجية إعداد هذا البحث الذي يتضمن مقدمة ، ثم مدخل تناول الموقع الجغرافي لبلاد الأندلس، والفتح الإسلامي لها ومكانتها الفنية في الحضارة الإسلامية، ثم فصل أول الذي تحدثت فيه عن العمارة الإسلامية في الأندلس، والزخرفة الإسلامية وخصائصها، والزخرفة الخطية وأنواع الخطوط، و أما الفصل الثاني فقد خصصته لبحث الزخرفة الخطية في مسجد قرطبة وقصر الحمراء، وأنهيت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج والملاحظات التي توصلت إليها.

وفي الختام لا يتوجب علي إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إخراج هذا البحث في هذه الصورة المتواضعة وأخص بالذكر أستاذي الكريم الدكتور كروم بومدين الذي رعى هذا البحث ولم يبخل علي بإرشاداته وتوجيهاته القيمة .

والله ولي التوفيق.

تلمسان يوم 20/06/2011

العامري محمد.

المدخل

- الموقع الجغرافي لبلاد الأندلس.
- الفتح الإسلامي للأندلس.
- مكانة الأندلس الفنية في الحضارة الإسلامية.

الموقع الجغرافي لبلاد الأندلس:

تقع شبه جزيرة إيبيريا في جنوب غرب أوروبا، يحدها من الشرق البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي، ويفصلها عن فرنسا شمالاً، سلسلة جبال البرت التي تتخللها ممرات ومضائق تصل بين البلدين مثل ممر هندايا في الغرب وممر قاطالونيا في الشرق وممر شيروزا في الوسط، لكن بالرغم من وجود هذه الممرات فإن جبال البرت قد جعلت إسبانيا في شبه عزلة عن بقية أوروبا. (1)

وهي الحدود التي رسمها الإدريسي من قبل في قوله :

" تبدأ من المغرب الأقصى حيث البحر المظلم ومنه يخرج خليج البحر الشامي ماراً على المشرق، وفي هذا البحر المرسوم بلاد الأندلس المسماة باليونانية إسبانيا، وسميت جزيرة الأندلس بجزيرة لأنها مثلت وتضيق من ناحية المشرق حتى تكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بجزيرة الأندلس". (2)

وتشبه تضاريس شبه جزيرة إيبيريا تضاريس المغرب إلى حد كبير، فمياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي تحيط بها من الشرق والغرب والجنوب، حتى إن العرب سموها جزيرة الأندلس مثل جزيرة المغرب، كما نجد جبال البرتات في شمال إسبانيا شبيهة في تكوينها بجبال الأطلس في المغرب. (3)

1- في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة بيروت لبنان 1972: 228.

2- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، أبو عبد الله الشريف الإدريسي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983: 245.

3- في تاريخ المغرب والأندلس: 227.

والأندلس تعبير جغرافي يطلق على البلاد التي تقع جنوب غرب أوروبا كانت تعرف قديماً باسم إيبيريا، ثم أطلق اليونان عليها اسم إسبانيا، سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس سميت البلاد باسمهم ثم عرب بعد ذلك فاستبدلت السين بالشين، وأصاب البلاد الجفاف فهلك سكانها وبقيت خالية مدة مئة سنة، وخضعت لروما بعد الحرب البونية الثانية، ولما اضمحلت قوة روما غزتها القبائل البربرية في مطلع القرن الخامس الميلادي، وقسمت أملاكها فكانت الأندلس من نصيب القوط. (1)

لقد طمع الفرنج في السيطرة على إسبانيا فتصدى لهم القوط وهاجموا بلاد الفرنج، ولكنهم انهزموا مما أثار القوط في جنوب غاليس، فهاجموا بقيادة ملكهم لودريك الفرنج في الأندلس وطردهم منها ودخل القوط في طاعته فولّى عليهم ابنه اشتريك، زحف إليه الفرنج وانتصروا عليه واستولوا على طلوسه "تولوز" وطردهم القوط من غاليس فتحصنوا بالأندلس. (2)

الفتح الإسلامي للأندلس:

في مطلع القرن الثامن حاصر المسلمون مدينة سبته، وكان يحكمها الكونت يليان نسيب الملك القوطي غيطشة الذي أرسل إليه أشجع جنوده، اغتتم خصوم الملك رحيل الجيش إلى سبته وثارو عليه بقيادة "لذريق" رودريك ابن دوق تيودوفريد مدعوماً من الأشراف والأخبار الناقمين، ودارت معارك انتصر فيها لذريق الذي خلع الملك وحل مكانه. (3)

1- المرجع السابق: 210.

2- تاريخ العرب السياسي في الأندلس، سعدون نصر الله، دار النهضة العربية، بيروت 1990: 14-15 (بتصرف).

3- تاريخ افتتاح الأندلس، ابن القوطية، دار الكتاب اللبنانية، بيروت 1992: 34.

لكن العرش لم يخلص للملك الجديد إذ قاد الثورة ضده ابنا غطيشة: إيفا وسيزبوت، وأخوه أوباس أسقف طليطلة ورأس الكنيسة القوطية.⁽¹⁾

استطاع لذريق أن يتغلب على خصومه، ولكن الخطر أتاه من جهة لم يتوقعها ذلك أن خصومه تطلعوا إلى المغرب، حيث الكونت يوليان حاكم سبته. كان الكونت من أقارب الملك المعزول غيطشة فانضم إلى أنصاره وكان يخشى على مركزه من الملك الجديد لذريق، واتصل به أنصار غيطشة واستقر الرأي على الاستنجاد بالعرب.⁽²⁾

كان دخول طارق بن زياد إلى الأندلس في رمضان سنة اثنين وتسعين للهجرة، وكان سبب دخول الأندلس. وكان يوليان يعمل للانتقام لشرفه، بعد أن توفيت زوجته وتركت له ابنة جميلة تدعى فلورندا أوكابا، فأمره لذريق بالتوجه إلى العدو، فاعتذر له بوفاة زوجته وبأنه ليس له أحد يترك ابنته معه فأمر بإدخالها القصر، ف وقعت عين لذريق عليها فاغتصبها فأعلمت أباه بذلك عند قدومه، فقال للذريق: تركت خيلا لم ير مثلها، فأذن له في التوجه إليها، وبعث معه المال فاتجه إلى طارق بن زياد ورغبه في الأندلس، وذكر له شرفها وضعف أهلها وأنهم ليسوا أهل شجاعة، وكتب طارق بن زياد إلى موسى بن نصير يعلمه بذلك فأمره بالدخول فحشد طارق جيشه وأعدده للهجوم.⁽³⁾

1- المرجع السابق: 34.

2 - ينظر تاريخ العرب السياسي في الأندلس: 19.

3- ينظر تاريخ افتتاح الأندلس: 22.

زحف طارق غربا نحو الجزيرة الخضراء يرشده الكونت يوليان وكان يحكمها تبود ومبرعامل لذريق، ففتح قلاعها وهزم القوط الذين تصدوا له، فكان أول نصر أحرزه المسلمون. جزع حكام الولايات المجاورة وأبلغوا الملك لذريق بالخطر الدايم. وقف طارق بن زياد على قوة القوط فاستنجد بموسى الذي أرسل إليه خمسة آلاف جندي فبلغ عدد الجيش اثنا عشر ألفا جلهم من البربر، بالإضافة إلى قوة صغيرة قدمها للوليان. فكانوا يقاتلون في أرض يجهلون، كلها هضاب مفاوز صعبة، لكن طارق، وعلى الرغم من ذلك واصل الحركة لاستكمال الفتح وكله ثقة بالنصر.⁽¹⁾

مكانة الأندلس الفنية في الحضارة الإسلامية :

احتلت الأندلس مكانة السمو والرفعة في ظل الحضارة الإسلامية، لما حققته من إنجازات مهمة في مجال العلم والعمران والثقافة والفن، فقد أضحى الفن فيها مقياسا مهما ضمن مقاييس الحضارة الإسلامية، ومن جملة هذه الفنون "الزخرفة"، فقد عرف الفنان المسلم كيف يجمع بين الصناعة والفن الجميل، واستوى عنده من حيث الإتقان ما تخرجه أنامله سواء لتجميل القصر أو الكوخ، فكل شئ يجب أن ينال حظه من الفن حتى إذا المادة المزخرفة غير ظاهرة للعيان بفضل هذا التفاني والإتقان في العمل الفني و في بقية الأعمال الأخرى وفي كافة المجالات.

"كانت إسبانيا قبل العرب على قدر من الرخاء والثقافة في زمن ملوك القوط، ولم يكد المسلمون يتمون فتح إسبانيا حتى بدأوا يجسدون رسالتهم الحضارية فيها فقد

1- ينظر تاريخ العرب السياسي في الأندلس: 22.

استطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا الأرض الميتة، ويعمروا أحزاب المدن وقيموا أفخم المباني ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى" (1)

استطاعت الأندلس أن تثبت مكانتها الفنية في تاريخ الفن العربي الإسلامي، كما ذاع صيتها في المشرق والمغرب الإسلاميين وأوربا بفضل مهارة فنانيتها الذين استقدموا من جميع الأقطار العربية وغير العربية آنذاك. ولم تقتصر الحياة الفنية بالأندلس على الزخرف وجماله فقط، بل تعدته إلى كافة الفنون الأخرى، فكان التركيز على الفنون الزخرفية، لأنه شمل مجموعة كبيرة من الحرف والمهارات والصناعات التقليدية من تحف ثابتة ومنقولة، أما بقية الفنون، كالموسيقى مثلا، فقد عرفت رقيا وتطورا لا مثيل له بالنسبة للعصور السابقة، كذلك فن الطبخ وفن البستنة وفنون التجميل وفن الأزياء وغيرها من الفنون، هذا التطور في جميع الميادين جعل المجتمع في الأندلس يعيش حياة البذخ والرفاهية، وكان هذا بفضل ما حمله الفاتحون معهم وامتزاجه بها كان موجودا فأعطى نموذجا من الثراء الاقتصادي والاجتماعي والفني لا تزال بصماته محفوظة إلى اليوم، سواء منه ذلك الذي لا يزال قائما في مكانه أو ذلك المحفوظ في المتاحف العالمية.

"استخدم العرب في بدأ إقامتهم بإسبانيا مهندسين من الروم، ثم لم يلبثوا بعقريتهم الفنية أن تفوقوا على أولئك المهندسين، وبلغ إبحاؤهم في أمور الزينة مبلغا صار يتعذر معه على أقل الناس دقة أن يخلط مبانيهم بالمباني البيزنطية" (2)

1- فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية، عز الدين فراخ، دار الفكر الكويت: 226.

2- ينظر المرجع نفسه: 188.

الفصل الأول:

- العمارة الإسلامية في الأندلس.
- الزخرفة الإسلامية وخصائصها.
- الزخرفة الخطية وأنواع الخطوط.

العمارة الإسلامية في الأندلس :

لقد بنى العرب المسلمون في الأندلس، منذ فتح طارق بن زياد لها إلى أن خرج منها آخر أمير أندلسي، هو أبو عبد الله الصغير حضارة تشهد لها أرجاء شبه الجزيرة الإيبيرية كلها، كما تشهد لها أوربا. فقد شكلت بلاد الأندلس لمآثرها العلمية والعمرانية والفنية مركز إشعاع مستديم للحضارة العربية الإسلامية منذ أن توطدت دعائم الحكم الإسلامي فيها، فقد بدأ فن العمارة يلتمس طريقه في الأبنية الدينية والمدنية لتأخذ العناصر المعمارية و الزخرفية التي كونت البذور الأولى للفن الأندلسي في الانتشار في المشرق والمغرب.

" لقد كان في الأندلس العديد من المدن الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وكان بعضها يقوم على أطلال مدن قديمة ترجع إما للعصر الروماني أو القوطي، وهذه هي حال الأغلبية العظمى، أما بعضها الآخر الذي يبلغ حوال ثلاث وعشرين مدينة فيرجع وجودها لأسباب عديدة منها موروث الحضارات السابقة على الإسلام والبعد الحربي".⁽¹⁾

صبغ المسلمون مدنهم المفتوحة بطابع إسلامي مميز، وذلك بإقامة المساجد التي تعد نواة العمارة في المدن وتمدها، حيث إن المسجد يصبح، بمرور الزمن، مركز المدن والحواضر وقلبها النابض، فمنه تتفرع الطرق الكبيرة المؤدية إلى أبواب المدينة، ثم تتفرع الطرق والشوارع والأزقة الموصلة للأحياء، وحول ساحة المسجد تقام الأسواق والحمامات والفنادق والقيصريات، وداخل المسجد تعقد الاجتماعات السياسية وتوزع ألوية الجيش وتدرس العلوم. وهكذا نجد أن

1- العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، باسيليو بابون مالدونادوت إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة
21: 2006

للجامع أثرا إيجابيا في حياة المجتمع السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، وكانت هذه الظاهرة تتبع في كثير من المدن التي يفتحها المسلمون.

" هذا ويعد الطراز الأندلسي أحد الطرز الفرعية أو المحلية التي انبثقت عن الطراز الإسلامي العام، فقد نشأ هذا الطراز على أرض الأندلس وتطور وتميز بسمات خاصة وشخصية مستقلة، ولكن دون أن يفقد صلته بالطراز الإسلامي العام الذي هو فرع منه أو بغيره من الطرازات الأخرى المعاصرة له في الشرق والغرب والتي أثرت فيه أو أثر هو فيها وبخاصة الطراز المغربي." (1)

ومن أبرز مميزات العمارة الإسلامية في الأندلس: المبالغة ببسط مساحات الجوامع والقصور عند تصميمها، يرافق ذلك ارتفاع جدرانها وسمكها، حتى بخيل للمشاهد أن هذه الأبنية قلاع أو حصون حربية، وكذلك نجد الاهتمام برفع أسقف المساجد وعمارتها على عقود وأعمدة رخامية جميلة مع الإهتمام برواق القبلة والبلاطة الوسطى على وجه الخصوص، وكذا منارات المساجد.

لقد جاء تخطيط المساجد في الأندلس على شكل نمطين من أنماط التخطيط غير التقليدي في العمارة الإسلامية وهما:

أ- التخطيط ذو الأروقة دون الصحن الأوسط المكشوف:

وهو يمثل النظام التخطيطي الثاني الذي صممت على أساسه المساجد والجوامع في العمارة الإسلامية، ويتكون من مساحة مستطيلة أو مربعة تقسم إلى أروقة بواسطة عدد من البانكات التي تتكون من صفوف من الأعمدة أو الدعامات، ترتفع فوقها عقود تكون موازية لجدار القبلة أو عمودية عليه، ويرتكز السقف على

1- بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، دار القاهرة، 2004: 167.

الأعمدة والدعامات دون وساطة العقود، كما نجد الأسقف الخشبية المتنوعة ومنها الأسقف الحجرية التي لا تخرج عن القباب أو الأقبية أو الاثنتين معا.

إذا كانت المساجد والجوامع التي صممت وفق هذا التخطيط كتاد تنفق مع بعضها بعضا في التخطيط العام والمميزات الرئيسية فإنها تختلف فيما بينها في بعض الوحدات والعناصر والتفاصيل، سواء كانت معمارية أو زخرفية، فإن لكل مسجد شخصيته المستقلة.

يكاد هذا التخطيط يتفق مع التخطيط التقليدي، إلا أنه يخلو من وجود الصحن الأوسط المكشوف، وهو العنصر الملازم للتخطيط التقليدي منذ تأسيسها بجامع الرسول صلى الله عليه وسلم وخلال مراحل تطوره في الشرق والغرب.⁽¹⁾

ب- التخطيط على هيئة مربع تعلوه قبة (المسجد القبة):

يتكون من مساحة مربعة تعلوها قبة، وتحتفظ العمارة الإسلامية في الأندلس بنموذج فريد لهذا التخطيط، وهو مسجد قصر الجعفرية الشهير (433هـ - 474هـ/ 1047-1081م) بسرقسطة، ولهذا المسجد أهمية خاصة تتجلى في القبة التي تمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور القباب ذات الضلوع، وهي المرحلة التي استهدفت الناحية الزخرفية الخالصة على النحو الذي نراه في قبة المحراب بجامع تلمسان .

وعليه فإن هذا التخطيط كان شائعا في العديد من المساجد الملحقة بالقصور الأندلسية والمساجد الصغيرة.⁽²⁾

1- ينظر المرجع السابق: 171-172 (بتصرف).

2- المرجع نفسه: 173.

كما صممت الدور الأندلسية انطلاقاً من فناء مركزي تطل عليه وحدات المنزل السفلية والعلوية، يستخدم متنفساً للمنزل الذي يبني غالباً على زقاق ضيق. لقد اهتم العرب في الأندلس بالزخارف الداخلية الخطية والنباتية والهندسية، ومع هذا لا بد من القول إن كلا من المسجد الجامع، وكذلك الشوارع لم تتبع من فراغ أو بين يوم وليلة بل مرت بمراحل تشكل بطيئة، فقد تهيأت المعابد الرومانية أو القوطية لأداء الشعائر الإسلامية وكذلك هدمت بعض هذه الدور لإقامة دور أخرى.⁽¹⁾

1- ينظر العمارة في الأندلس: 138.

- مكونات المدينة الأندلسية:

تقوم المدينة الأندلسية على المكونات الآتية:

* المسجد.

* الأسواق وأسواق الغلال.

* القيساريات.

* القصر.

* القصبة.

* الشوارع والدروب.

وتدخل كل تلك العناصر في مساحة من الأرض لها سياج جيد تتخلله أبراج، وهذه هي المدينة بمعناها الكامل، كما استعمل المسلمون النقوش العربية الممزوجة بالكتابة والزخرفة الذهبية، وأكثروا من المتدليات المؤلفة ثم الأقواس الصغيرة التي صمم بعضها على شكل سعف النخل التي تزين فضاءها الداخلي⁽¹⁾.

القصبة:

القصبة مدينة صغيرة بها اكتفاء ذاتي، وتضم القصر أو قصور الخليفة أو الحاكم، وتشغل عدة وظائف، حربية وسياسية وإدارية، تحميها أسوار وأبراج منيعة مع وجود برج حر يسمى (قلهرة) وهو مقر السلطة.

1- فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية: 188.

القلعة:

القلعة هي الحصون الكائنة في المناطق البعيدة عن الحضر، وهي نوع من المدن الكبيرة المحصنة، بنيت للسيطرة على السهول الخصبة المأهولة بالسكان وقد شيدت لحمايتهم، وكانت معظم القلاع حصونا حكومية يحكمها قائد أو شخصية بارزة، وسرعان ما استقر إلى جوارها سكان مدنيون يقيمون في منطقة مسورة أو مكشوفة.

الرباط:

كان الرباط الأندلسي متنوع الشكل، يصعب تحديد ملامحه، وإذا ما تعلق بالدير الرباط، فإن من الأمثلة الواضحة على ذلك حصن الجسر الكائن في جزيرة القديس فرناندو، وقد تم تقليد مخططه جزئيا في الرباط الحصن المسمى سان ماركوس، والكائن في ميناء سانتا مريا، كما نرى المخطط المربع في حصون كائنة شرق الأندلس، وظل المعسكر الرباط وفيها للمخطط المعتاد، وهو إما مربع أو مستطيل.⁽¹⁾

الحصن:

كان الحصن في الأساس عبارة عن مساحة صغيرة من الأرض المحصنة ذي غاية حربية، وتنوعت مساحاته ومخططاته في أرض الأندلس حسب المسطح، يتخذ لحماية الفلاحين وقطعانهم زمن المخاطر والحروب، أي أنه عبارة عن حصن للإيواء، وكذلك للسيطرة على الطرق التي ازداد انتشارها. وعادة ما نجد الحصون غير مزودة بالمباني، وكانت مزودة ببرج في حالات معينة، وعادة ما

1- ينظر العمارة في الأندلس: 235 (بتصرف).

يكون هذا البرج معزولا عن باقي المبنى، وفي داخل الحصن مساحة لا يجوز شغلها تسمى "الحرم" كما يلاحظ عدم وجود المساجد بها.(1)

الزخرفة الإسلامية وخصائصها:

جاءت الزخرفة العربية الإسلامية محصلة طبيعية لإبداع الفنان العربي المسلم الذي كان يحمل معه بذور حضارته العريقة، على الرغم مما أصابه من وهن وضعف لقطرات طويلة. إلا أن ظهور الإسلام قد أيقظ الإنسان العربي من غفوته وفجرفيه مكامن الخير والعطاء الإنساني الذي أنشأ حضارة إنسانية جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية في زمن قياسي ، وقد لازمت الزخرفة العربية عصر الخط العربي بشكل واسع في هذه الميادين وأصبحت الزخرفة العربية صفة من صفات الفنون العربية الإسلامية (2).

كما تعامل الفنان العربي المسلم مع الأشياء التي رآها في مختلف العناصر النباتية وجردها من صورتها الواقعية في أحيان كثيرة وأخرجها بأشكال رمزية وتجريدية جديدة أصبحت نموذجا فريدا في ما بعد، وبدأت صفات العناصر الزخرفية المكونة لملاحم الزخرفة العربية الإسلامية بالظهور منذ القرن السابع الميلادي (أي منذ القرن الأول للهجرة) وأخذت شخصيتها في التبلور خلال القرن التاسع ، وازدهرت ازدهارا ملحوظا في العصر العباسي.(3)

انتشرت الزخارف في كثير من البلدان العربية الإسلامية حتى بلغت ذروتها في القرن الثالث عشر حين استعملت الزخرفة في التصاميم عند دخولها ميدان العمارة الإسلامية التي كانت منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي.

1- ينظر المرجع السابق: 331.

2- الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، شاكر محسن آل سعيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988: 39.

3- ينظر الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية، عبد الجبار حميدي محيسن المكتبة الوطنية، عمان 2005: 114.

" ويتميز الفن عند المسلمين بغنى سطوح تحفها بزخارف مشرقة نابضة بالحياة، مثيرة للخيال دقيقة التنظيم ومتقنة الصنع، حيث يوظف الفنان والصانع المواد والألوان والمفردات الزخرفية وتكوينها لإثراء سطوحها، إذ لا تكاد تخلو تحفة إسلامية - معمارية كانت أم زخرفية - من ضروب الزينة، حتى إن النماذج الخالية من الزخرفة نادرة، فالزخارف تغطي المخطوطات والأسلحة والصحاف والمسكوكات والخشب والجلد والنسيج وغير ذلك".⁽¹⁾

تتمتع الزخرفة بشكل عام بخصائص متعددة ترتبط بأسلوب إنجازها وبطبيعة وظيفتها وطرق تنفيذها، ومن أهم الوحدات التعبيرية التي استخدمها الفنان العربي المسلم في تنفيذ نقوشه ونقوشاته وزخارفه:

1- التجريد: " وهو الاكتفاء بجزء من الرسوم أو اختزالها إلى أشكال عامة.⁽²⁾ ومعنى ذلك أن التجريد هو الاختزال الذي يعني حضور الفكر الإنساني الإنتاجي في الفن عن طريق تطبيق مبدأ تحويل الطبيعة وللوصول إلى التجريد الهندسي".⁽³⁾

ولقد اعتبر التجريد القاعدة الأساسية التي انطلق منها الفنان في تنقية الأشكال الزخرفية.

2- التكرار: هو إعادة رسم الشيء نفسه، استخدمه الإنسان طريقة لملء الفراغات لتنفيذ رسوماته، منطلقاً من أسبابه الخاصة ذات الأغراض المختلفة، وهذه الطريقة المبتكرة هي: إعادة رسم الشكل عدة مرات على سطوح أدواته، بحيث أصبحت تلك الإعادة للرسم (الشكل التام) والذي رسم في الزخرفة بعدة أشكال

1- الزخرفة الإسلامية، فداء حسين أبو ديسه، مكتبة المجتمع العربي، عمان 2009: 11.

2- الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي: 39.

3- الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية: 118.

منها هذا الأخير الذي يستخدم في النقوش المعمارية المنفذة على الرخام والحص والأعمدة والجدران والبوابات. ومنها (الشكل غير التام). الذي يكون شكلا متغيرا في الشكل أو الحجم⁽¹⁾.

يمكننا القول إن الزخرفة تتألف من عدة وحدات زخرفية تجريدية ورمزية أو واقعية في بعض الأحيان لأشكال نباتية أو هندسية أو حيوانية أو خطية.

"والمخطوطات من بين أنواع الزخارف الكتابية والهندسية والنباتية والحيوانية والأدمية، فهي تتسم بخصوصية تنوع فنونها الخطية وتذهيبها، وأما الأواني الفضية فزخارفها رمزية وتجريبية وهندسية، فتركيب الحلي نفسها ضرب زخرفي ذو جمالية خاصة"⁽²⁾.

تعددت الاتجاهات الفنية الزخرفية، فقد جعل العرب المسلمون من المجموعات الزخرفية حقولا انطلق فيها خيالهم إلى التكرار، والتجدد، والتناوب. اعتمد الفنان العربي المسلم على أسلوب التوريق في رسم العديد من الأشكال الزخرفية بعد تحويله لها وإضافة عليها، كما يظهر في استعماله لورقة العنب بصورة غالبه في زخارفه، وسعف النخيل والزهور بمختلف أنواعها وأشكالها، والثمار متعددة الأشكال إلى جانب أوراق النبات الأخرى.

" يمكن تتبع بعض الزخارف النباتية عند المسلمين التي استخدمت في فنون ما قبل الإسلام كالنخيل والزيتون والتين، وأشهرها ورقة الأكانس التي كانت شائعة في الفن المسيحي في سوريا وقبل الإسلام"⁽³⁾.

1- المرجع السابق : 119.

2- الزخرفة الإسلامية : 112.

3- المرجع نفسه : 23.

عناصر الزخرفة العربية الإسلامية:

تتشكل الزخرفة العربية الإسلامية من مجموعة من العناصر التي تميزها والتي تحظى كل واحدة منها بمكانة ومنزلة فنية وجمالية وإنتاجية عالية وهي:

- العناصر الزخرفية النباتية

- العناصر الزخرفية الهندسية

- العناصر الزخرفية الخطية

- العناصر الزخرفية من الكائنات الحية.

(أ) **العنصر النباتي:** ومنه الوحدات النباتية في الزخرفة العربية المستوحاة من

الأشكال المختلفة للنبات أو ما تسمى بالوحدات الزخرفية النباتية.⁽¹⁾

" ولم ينقل الفنان هذه المشاهدات نقلا حرفيا بل كان يحورها عن أصلها الطبيعي

مراعيا في هذا التحوير الإحتفاظ بخصائص ومميزات الوحدة الأصلية بحيث لا

يؤدي التحوير إلى تشويه معالمها وإنما يضيف عليها من البساطة والجمال

الزخرفي بما يتفق مع الغرض المطلوب."⁽²⁾

(ب) **العنصر الهندسي:** ومنه الوحدات الزخرفية الهندسية كالنجوم والمضلعات أو

الأشكال الخماسية والسداسية.

(ج) **عنصر الخط العربي:** وبخاصة منه الخط الكوفي بأنواعه المختلفة وخلفياته

المتعددة ذات الزخارف المتنوعة، إلى جانب بعض أنواع الخطوط الأخرى.

1- الخط العربي والزخرفة الإسلامية: 121.

2- الزخرفة الإسلامية: 47.

د) العنصر الحيواني والآدمي: وقد أدخله الفنان المسلم غير العربي، وتجلت تلك الزخارف في المخطوطات والصناعات الفنية، تجلت في السجاد والمعادن المنقوشة والخشب والزخرف وغيرها.

الأساليب الفنية للزخرفة العربية الإسلامية:

دخلت الزخرفة العربية الإسلامية ميادين متعددة من أهمها: ميدان العمارة التي شملت المساجد وما فيها من محاريب ومنابر، وكذلك القصور والمباني العامة والخاصة، ومن أهم الأساليب التي ظهرت خلال المراحل المتعاقبة من الإبداع الفني الزخرفي على امتداد البلاد العربية والإسلامية.

الطراز الأموي: هو أول أسلوب زخرفي ظهر عند المسلمين، ومما ساعد على ظهوره اهتمام الحكام الأمويين ببناء القصور والمساجد.

وامتد تأثير هذا الطراز إلى المناطق التي دخلها المسلمون في زمن الدولة الأموية.

الطراز العباسي : لقد تجلى الطراز العباسي في الزخارف المعمارية التي وصلت ذروتها في الزخارف الجصية التي انتشرت في بغداد وسامراء. ومناطق أخرى، وشملت المساجد والمدارس والقصور والمباني العامة والتحف، إضافة إلى الاستقدمات الزخرفية التي دخلت على الخط الكوفي بشكل خاص.⁽¹⁾

الطراز الأندلسي : لقد امتزجت الخبرات الفنية الأموية و العباسية والمغربية لتشكل أسلوبا قرطيبيا وأندلسيا فريدا، أصبح واحدا من أهم مميزات الفن العربي الإسلامي منذ وقت مبكر من عصور الدولة العربية الإسلامية، حيث بدأت في القرن الثامن الميلادي واستمرت حتى سقوط الدولة العربية في الأندلس على ذلك الطراز الفريد وبخاصة ما تمثله المساجد والقصور بها.

1- ينظر الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية: 122-123 (بتصرف).

الطراز المغربي : ظهر في الزخرفة العربية الإسلامية في بلاد المغرب العربي، وازدهر خلال القرن العاشر بحيث كان للأساليب الأموية العباسية تأثير قوي في المفردات الزخرفية المغربية ومجالاتها، كالزخرفة في القصور والمساجد والمباني العامة والخاصة.

الطراز السلجوقي : ظهر مع بداية القرن الحادي عشر حاملا معه تأثيرات أموية وعباسية وفارسية وتركية، فأصبح أسلوبا مميزا سجل حضوره على الطرز الفنية الأخرى.

الطراز الهندي المغولي : وهو الأسلوب الفني الذي تميز به المغول وأبدعوه في الهند خلال حكمهم لها في منتصف القرن السادس عشر الميلادي.

الطراز العثماني : ظهر بعد حكم العثمانيين للبلاد العربية الإسلامية منذ بداية القرن السادس عشر مستفيدين من الأساليب الفنية العربية الأموية والعباسية والفاطمية.⁽¹⁾

الزخرفة الخطية وأنواع الخطوط :

أدخل الفنان العربي الحروف العربية عنصرا رئيسا في الزخرفة، ولا شك أن استعمال الكتابة في أول الأمر على المنتجات الفنية كان وسيلة من وسائل الحمد والشكر لله تعالى، حيث استغل هذا العنصر إستغلالا جماليا بديعا، ويلاحظ استعمال الآيات القرآنية ليتزيين المساجد، وأصبح من مسؤولية الفنان العربي العناية بالخط وتطويره للاستعمال الجمالي، فظهرت ألوان مختلفة من الخطوط، منها الخط الكوفي" هو النوع اليابس من أنواع الخط العربي و تتميز أشكال

1- المرجع السابق: 124.

حروفه بخطوط مستقيمة وزوايا حادة، ظهر بمدينة الكوفة وهو امتداد متطور للخط الحيري.⁽¹⁾

يعتبر الخط الكوفي أول نوع من أنواع الخطوط التي استخدمت في الكتابات الرسمية للدولة العربية الإسلامية، خاصة في عهد انتقال مقر الخلافة إلى الكوفة لكن بعد ظهور الأنواع الأخرى تقلصت مجالات استخدامه، فبقي مسيطرا على الاستخدامات التي تنفذ على الخشب والحجر والرخام، وخاصة فيما يتعلق بكتابات العمارة الإسلامية وشواهد القبور والتحف وقد مر الخط الكوفي بمراحل تطورية هي: الخط الكوفي البسيط والمربع والمورق والمزهر والمظفور والمغربي، فالخط الكوفي البسيط هو الخالي من الزخارف التي تنتهي قوائم الحروف فيه شكل مثلث، وقد شاع انتشاره في شرق العالم الإسلامي وغربه في القرنين الثاني والثالث للهجرة.⁽²⁾

ولعل النقطة الكبرى في الخطوط الموزونة كانت في خطوط العمائر، حيث بدأ الكوفي البسيط المستمد شكله من خطوط المصاحف وصار ملازما لكافة أنواعه، حيث بدأ بالكوفي المورس في حالته البسيطة، دخلت عليه بعد ذلك الزخرفة في الفراغات، فكان كوفي الفراغ الزخرفي. ثم صارت له أرضية، كما تمت معالجة منتصباته بالتقاطع المتنوع الذي تطور إلى تشكيلات فنية تم فيها مزج الضفر مع الحليات الزخرفية التي تنوعت بشكل كبير في جميع أنحاء العالم الإسلامي.⁽³⁾ لقد تمت دراسة الخط الكوفي بالاعتماد على آثاره الماضية في العمارة وركزت على الشكل العام، كما أن للخط الكوفي أنواعا أخرى كالخط الكوفي المربع الذي يعتمد على حساب المربعات أي أنه يتألف من عدة وحدات مربعة الشكل.

1- المرجع السابق ص 44.

2- الكتابات العربية على الآثار الإسلامية حتى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة، مایسة محمود داود، القاهرة مكتبة النهضة المصرية 1991: 53.

3- الزخرفة الإسلامية: 76.

تنوعت الخطوط العربية وشاع استعمالها في الأمصار العربية بحيث ظهرت أنواع أخرى للخطوط على غرار الخط الكوفي ومن أبرزها:

خط الثلث: يعتبر من أصعب أنواع الخطوط من حيث إمكانية ضبط موازين حروفه في الكتابة أو الأداء، وهو من أجملها وأكثرها استخداما فنيا، استعمله العرب بعد الخط الكوفي بصورة واسعة.⁽¹⁾

خط النسخ: استعمل في كتابة المصاحف الشريفة بدل الخط الكوفي، وخط الثلث ظهر مع بداية القرن الرابع الهجري وشاع استخدامه في أنحاء العالم الإسلامي.

خط الإجازة: يطلق عليه اسم التوقيعات، تتميز أشكال حروفه بصياغة مشتركة بين أشكال حروف خط الثلث وأشكال حروف النسخ، استخدم هذا النوع من الخط في كتابة العبارات التي تحمل معها توقيعات أصحابها كما استخدم في كتابة عناوين السور القرآنية.

خط التعليق: شاع استخدامه لدى المسلمين من غير العرب. ظهر خلال القرن الثالث عشر الميلادي وازدهر خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

خط الرقعة: هو نوع يمتاز بحروفه المبسطة سمي بهذا الاسم لأنه يكتب على الرقع الصغيرة لتسهيل مهمة كتابته في الاستخدامات والمخاطبات العامة "وضع قواعد هذا النوع من الخط الخطاط ممتاز بيك في زمن الدولة العثمانية".

خط الديواني: تتميز أشكال حروفه بتدويراتها وانحناءاتها الكثيرة بحيث تبدو الكلمات المكتوبة على شكل الأمواج، سمي بهذا الاسم لاستخدامه في كتابة المراسيم الديوانية في الدولة العثمانية.⁽²⁾

خط الديواني الجلي: "هو نوع شبيه بالخط الديواني من حيث تقوس حروفه وانحنائها، إلا أن الحروف في خط الجلي الديواني تأخذ أشكالا معينة. حيث

1- الكتابة العربية في رحلة النشوء والإرتقاء، خليفة شعبان عبد العزيز، العربي للنشر والتوزيع، 1989: 34.

2- الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية: 92.

يوضع التصميم المطلوب للشكل ثم تكتب الكلمات بهذا النوع من الخط يتمشى مع شكل التصميم الموضوعي منها." (1)

كما توجد أنواع أخرى للخط العربي اشتقت من الخطوط السالفة الذكر، خط نستعليق، الذي يجمع أشكال خط النسخ والتعليق. وخط الشكسته المشتق من خط التعليق وخط الطغراء الذي وضع تصاميم لأسماء السلاطين الأتراك لغرض استخدامها في التوقيعات الخاصة بأسمائهم.

إن الفنان المسلم وإن استلهم عناصر فنية من الحضارات الأخرى في الزخارف النباتية والحيوانية والآدمية والهندسية، فإنه كان مبتكرا ومحددا بالنسبة للزخارف الكتابية حتى أضحي هذا الإتجاه الزخرفي أحد العناصر المميزة لفنون المسلمين.

وعليه فقد انتشر الخط العربي انتشارا واسعا في بقاع العالم الإسلامي، وساعدت على ذلك عوامل وسياسات مختلفة ارتبطت بالتطور الحضاري للأمة الإسلامية. وقد استمر الاهتمام بالخط وفنونه في كل عصر انطلاقا من تعاليم القرآن الكريم الذي حث في أولى آياته على تمجيد القراءة والكتابة والمعرفة. قال الله تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (2)

وقال جل جلاله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ ﴾ (3)

1- المرجع السابق: 104.
2- سورة العلق، الآيات 1- 5.
3- سورة الزمر، بعض من الآية 9.

وقوله تعالى : ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (1)

لقد استخدم المسلمون الخط لغرضين اثنين هما التدوين والتزيين. فنشروا به مختلف العلوم وزينوا به مختلف العمائر .
فحلت النصوص الإسلامية في المساجد الأندلسية محل الرسوم الآدمية والتماثيل التي استخدمتها النصرانية والحضارات القديمة من أجل الدعاية الدينية ، إلى جانب كونها عناصر زخرفية تكمل التكوينات والعناصر المعمارية. وبذلك احتلت الزخارف الكتابية مكانة بارزة في الفن، وأصبحت جزءا رئيسا من روح الحضارة الإسلامية ، ودفعت مكانة الخط هذه الفنون المسلمين إلى ارتقاء قمم إبداعية راقية وسط الفنون الإنسانية. (2)

1- سورة القلم، الآية 1.
2- الزخرفة الإسلامية: 21.

الفصل الثاني:

- الزخرفة الخطية في مسجد قرطبة وقصر الحمراء.
- القيم الفنية و الحضارية التي تضمنتها الزخرفة الخطية.

الزخرفة الخطية في مسجد قرطبة وقصر الحمراء:

قرطبة :

قرطبة مدينة أندلسية إسبانية عريقة، ترجع إلى العصر الروماني، وهي تقع على سفح جبل قرطبة الجنوبي، على منحى الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير وهي عاصمة الولاية الأندلسية المسماة بهذا الاسم، وترتبطها مزيج من البسائط الخضراء حيث تزرع الحبوب والكروم وحدائق البرتقال والليمون بين السفوح المنحدرة من جبال سير مورينا.

ولا تعد قرطبة من مدن إسبانيا الكبرى، وهي ليست في مرتبة بلنسية أو اشبيلية من حيث اتساع الرقعة أو كثافة السكان، وتبدو مدينة أوروبية بكل معاني الكلمة وهي تكاد تكون مربعة الرقعة، وأعظم شوارعها "منتزه القبطان الأعظم" وهو شارع عريض جدا على جانبيه طائفة من المباني الفخمة المحدثه، وشارع عظيم هو شارع "كناليوخاس" وعند تقاطعها يقع ميدان للثيران وأهم ميادينها التجارية ميدان "كانوخاس".

وقد نزعت قرطبة الحديثة كل معالمها القديمة فلم يبق بها اليوم، غير مسجدها الجامع القديم الذي يذكرنا بماضيها الإسلامي المجيد، وتكاد قرطبة إذا استثنينا بعض الدروب المحيطة بالجامع، تخلو حتى من الأحياء الأندلسية القديمة ذات الدروب الضيقة والطابع الخاص وقد اختفى من مبانيها الحديثة كل أثر للطراز الأندلسي القديم الذي مازال موجودا في كثير من مدن الأندلس الأخرى ولاسيما اشبيلية وغرناطة، وهي تبدو على الجملة بشوارعها الشاسعة المحدثه وعماراتها العالية مدينة أوروبية محضة (1).

1- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، مكتبة الناجي القاهرة 1962: 19 - 20.

مسجد قرطبة الجامع :

ويقوم هذا الأثر الإسلامي العظيم كما يسميه الإسبان فوق بقعة صخرية تقع في نهاية جنوب غربي قرطبة على مقربة من القنطرة العربية القديمة المقامة على نهر الوادي الكبير ، وتحيط به الدروب الضيقة من جوانبه الأربعة ، وتبدو على جدرانه وواجهاته الخارجية آثار القدم ، ولكن متى دخلت إلى داخل فنائه الشاسع ، وتأملت مدخله الرئيسي ، أدركت لأول وهلة أنك تواجه آثارا من أجمل الآثار الإسلامية الباقية وأبدعها .

ولقد بدئ بإنشاء مسجد قرطبة سنة [170هـ - 786م] على يد عبد الرحمان الداخل الأموي ، وكان موضعه كنيسة قوطية ، أراد عبد الرحمان أن يكون مسجد قرطبة أعظم مساجد الأندلس وأفخمها ، فجلب إليه الأعمدة الفخمة والرخام المموه من أربونة اشبيلية وقسطنطينية ، ولكنه توفي قبل إتمامه فآتمه ولده هشام وأنشأ به منارته الأولى ، وزاد فيه عبد الرحمان بن الحكم بهوين جديدين من ناحية القبلة وجدده الأمير محمد بن عبد الرحمان وأنشأ به مقصورة فخمة كانت الأولى في نوعها بمسجد الأندلس ، وفي عهد ولده الأمير عبد الله أنشئ السباط الموصل من القصر إلى الجامع ، وهو عبارة عن ممر مسقوف مبني فوق عقد كبير يفضي من القصر إلى مقربة المحراب ، وجدد عبد الرحمان واجهة الجامع وهدم منارته القديمة وأنشأ مكانها منارة أخرى أرفع وأفخم [340هـ - 951م] وكانت منارة الناصر مربعة الواجهات لها أربعة عشر شباكاً ذات عقود ، ثم زاد فيه ولده الحكم المستنصر زيادات كثيرة ، فابتنى المحراب الثالث واستغرق بناؤه أربعة أعوام وعملت له قبة ضخمة ، ثم جاء المنصور بن أبي عامر فزاد في ناحيته الشرقية⁽¹⁾

1- المرجع السابق: 22.

زيادة مهمة وبذلك تضاعف حجم الجامع تقريبا وبلغ عدد سواريه 1417 سارية وبلغت ثرياته 280 ثريا(1).

ومسجد قرطبة الجامع هو أضخم عمل معماري قام به المسلمون في العصر الوسيط، في الشرق أو الغرب على السواء، تقدر مساحة الصحن المسقوف بـ4868 مترا مربعا ، وإذا أضفنا الفناء غير المسقوف كانت مساحته 12189 مترا مربعا، ومحراب هذا المسجد أروع محاريب الجوامع الأثرية الباقية إلى اليوم، والابتكارات المعمارية والزخرفية التي تجسدت فيه وفي ما بعد تقرر دون أدنى شك أن العرب كانوا أعظم مهندسي الدنيا حتى مطلع العصر الحديث .
والعبقرية الهندسية تتجلى في السقف الذي يبلغ ارتفاعه نحو تسعة أمتار على عمد رفيعة لا يزيد قطر الواحد منها على خمسة وعشرين سنتمترا(2).

وذلك لأنه لم يوجد بناء بيزنطي يشابهه، وهو وإن كان يشمل بوضوح عناصر الفن البيزنطي كالتيجان التي هي على شكل أوراق الشجر، ونقوشه التي هي على شكل أغصان وزينته المتشابكة، وفسيفساؤه وزخارفه التي هي من ذهب تختلف عن المباني البيزنطية بما فيه من الزينة بالخط الكوفي وبأقواسه القائم بعضها فوق بعض(3).

1- المرجع السابق: 21.

2- رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، حسن مؤنس، الشركة العربية لطباعة والنشر، القاهرة 1964: 73.

3- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية: 188.



أحد مداخل المسجد

الزخرفة الخطية في مسجد قرطبة :

يوجد في جامع قرطبة عدة نقوش وكتابات تدل على تواريخ إصلاحه والزيادات فيه ، أقدمها فوق الحافة العليا من عقد بابه الغربي ، وهو يؤرخ تاريخ التجديد الذي قام به الأمير محمد بن عبد الرحمان سنة 240 هـ .

بيد أن أهم نقوش المسجد الجامع اثنان :

الأول: يؤرخ ما قام به عبد الرحمان الناصر من إقامة واجهته ، وقد نقش في لوحة رخامية ثبتت في الجانب الأيمن من باب النخيل بخط كوفي جاء فيه الآتي:

"بسم الله الرحمان الرحيم، أمر عبد الله عبد الرحمان أمير المؤمنين الناصر لدين الله أطل الله بقاءه بنيان هذا الوجه وإحكام إتقانه تعظيما لشعائر الله ومحافظة على حرمة بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه، ولما دعاه إلى ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر، فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ستة وأربعين وثلاث مائة على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر عمر سعيد بن أيوب." (1)

الثاني : ظهير كتب بالخط الكوفي داخل المحراب فيه ، يؤرخ ما قام به الحكم المستنصر في إنشاء المحراب وكسوته بالرخام وهذا نصه : " أمر الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، أصلحه الله، بعد عون الله في ما شيده من المحراب بكسوته بالرخام رغبة في جزيل التواب وكريم المآب، فتم ذلك على يد مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمان رضي الله عنه، بنظر محمد تملبخ وأحمد

1- رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود:30.

بن نصر وخالد بن هشام أصحاب شرطته ومطرف بن عبد الرحمان الكاتب عبدة في شهر ذي الحجة من سنة أربعة وخمسين وثلاثمائة" (1).

كما أن في المحراب نقوشا أخرى تتضمن بعض الآيات القرآنية وهي جميلة مذهبة ، والمحراب ليس تجويفا في الجدار مزينا بالزخارف والألوان بل هو أشبه بصومعة مرفوعة فوق قواعد من الرخام ، كلها ملونة تزينها الزخارف يحيط بها من خارج القوس إطار زخرفي ، والجدار حول العقد وفوقه منقوش تزيينه كتابات.

وكتابة الإطار الخارجي تبدأ من السطر الأول من اليمين إلى الأسفل وتصعد ثم تسير من اليمين إلى اليسار ، ثم تنحدر إلى الأسفل ، وكذلك السطر الثاني.

الكلمات الأربع الأولى ليست مفهومة ، إنها تقليد لهيئة الكتابة العربية لأن الذين رمموا المسجد سنة 1816 وجدوا أن الكتابة والزخرفة سقطتا من هذا الجزء فأكملوه بتقليد هيئات الحروف العربية حتى لا يبقى فارغا (2).

ثم تقرا الآية ﴿ ذَلِكْ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (3) ثم تقرا من

الأسفل إلى الأعلى ﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾ وتستمر الآية في السطر الأعلى من اليمين

1- ينظر المرجع السابق: 31.

2- المرجع نفسه: 96.

3- سورة السجدة الآية: 5.

إلى اليسار ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (1)

وبقية السطر موفق الأمام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله. ثم تستمر الكتابة من أعلى إلى أسفل:

"لهذه البنية المكرمة ومعينة على نية الخالصة في التوسع لرعيته..." وبقية السطر مطموسة.

والسطر الثاني ابتداء من أسفل اليمين، أوله لا يقرأ لأنه نقش زخرفي في هيئة الكتابة الكوفية، ثم بعد ذلك تقرأ من أسفل لأعلى: "ما إليه وإليهم الرغبة فيما ابتداء من فضله فيهم وصلى الله على محمد وسلم" وعند قاعدتي القوس (العقد) على اليمين واليسار كتابتان تتألف كل منهما من ثلاثة سطور.

تقرأ على اليمين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿...الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا

لِيَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ... ﴾ (2)

وتستمر الكتابة إلى اليسار كالاتي: "أصلحه الله موليه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمان. رضي الله عنه بنصب هذين المنكبين فيما أسسه على تقوى من الله ورضوان فتح ذلك في شهر ذي الحجة سنة أربعة وخمسين وثلاثمائة" (3)

و نقوش الواجهة و كتاباتها محلاة بالفسيفساء وهي المعروفة في اللغات الأوروبية باسم موزايك أو موزايكو.

1- سورة غافر الآية: 65.

2- سورة الأعراف الآية: 43.

3- ينظر رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود: 98.



صورة المسجد من الداخل

داخل المحراب : مقصورة صغيرة ذات أضلاع ،جدرانها مبطنه من أسفل
بالرخام الأبيض ،ثم يلي ذلك عقود زخرفيه صماء ثم إفريز محلى بالكتابة يليه
إفريز زخرفي صغير .

وفوق هذا أقام المعماري سقف المحراب،وجعله من قطعة واحدة من
الحجر هياها على صورة المحارة مقسمة إلى فصوص زخرفية .(1)
والإفريز الأول المكتوب يضم نص الآيتين الكريمتين هما كالآتي:

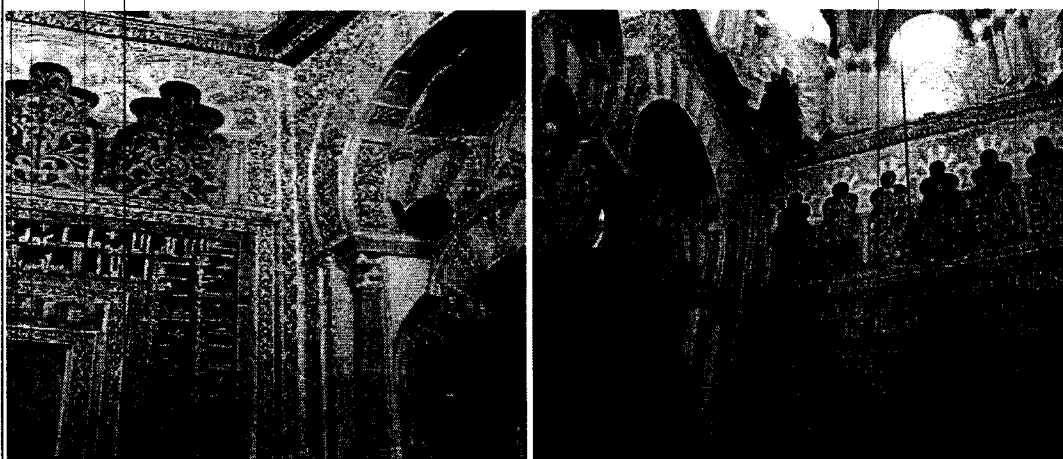
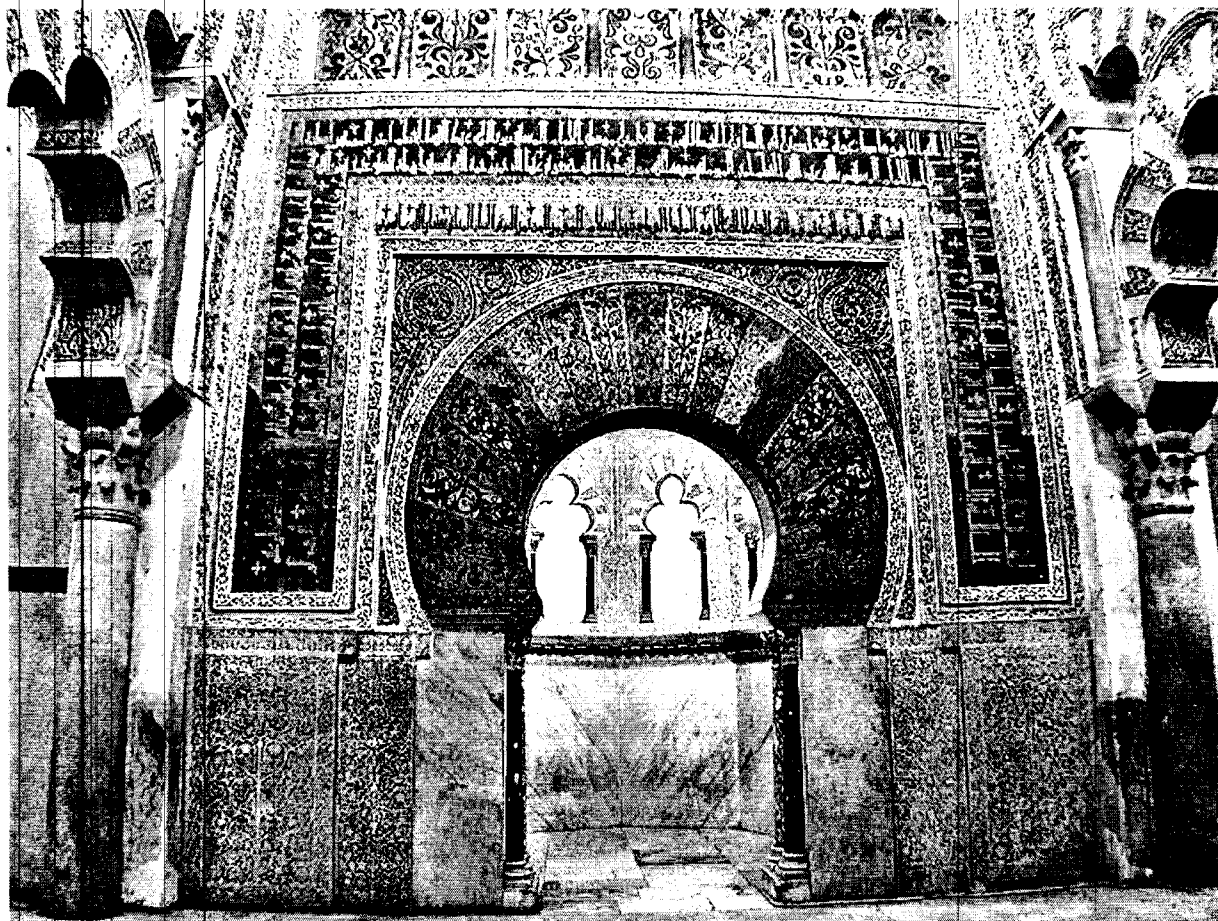
بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ . (2)

وتحت هذا الإفريز ،الذي زينته هذه الآيات الواعظة ،نرى إفريزا أخرا واسعا
تقرأ فيه الآية 238 من سورة البقرة مسبوقه بالبسملة وفي إفريز ضيق يدور مع
المحراب تحت الأقواس تقرأ الآيتين الكريمتين هما كالآتي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ
وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ
فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ
مِّن حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ (3)

1- ينظر المرجع السابق:100.

2- سورة آل عمران الأيتان:102-103.

3- سورة المائدة الآية: 6.



الزخرفة الخطية التي تزين محراب الجامع

وفي هذا المحراب كتابات أخرى بعضها آيات قرآنية وبعضها توقيعات من اشتركوا في بنائه، تقرأ على القوسين المؤديتين إلى البلاطة السابقة على المحراب "الحمد لله على الهدى وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء. أمر الإمام المستنصر بالله عبد الله الحكيم أمير المؤمنين وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمان رحمه الله بعمل هذا المشرع إلى مصلاه، فتم بعون الله بنظر محمد بن تميميخ واحمد بن نصر. وخالد بن هشام ومطرف بن عبد الرحمان الكاتب. الحمد لله."

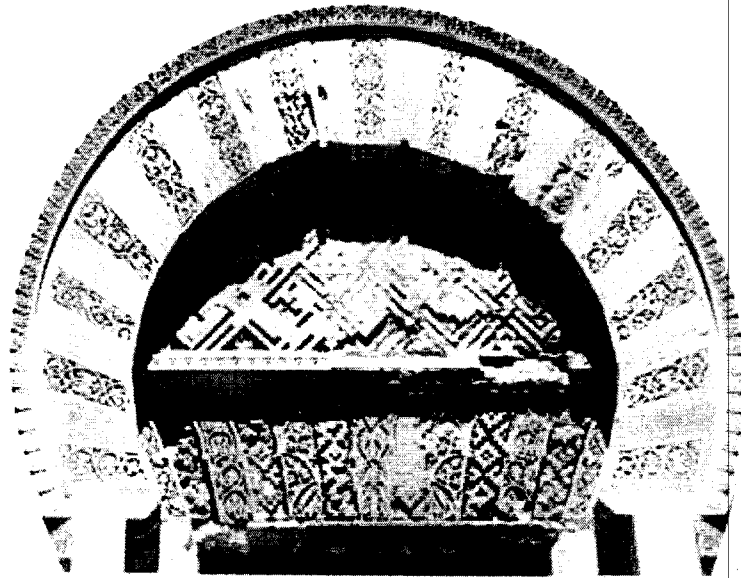
وتقرأ أيضا : (بسم الله الرحمان الرحيم أمر عبد الله الحكيم أمير المؤمنين أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمان رحمه الله بعمل هذه الفسيفساء في البيت المكرم. فتم جميعا بعون الله سنة أربع وخمسين وثلاثمئة) .

كما وجدت قطعة من عقد من المرمر في شارع أونلاص تحت الأرض كتب عليها (بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،أمرت السيدة [مشتاق] أم أمير المؤمنين بعمل هذه المنارة والسقيفة المنضمة له، وتجديد طور هذا المسجد فتم بعون الله على يد جعفر بن عبد الرحمان... في شهر رمضان... وثلاث مئة) .⁽¹⁾

1- ينظر رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود: 102.



أسماء منقوشة لبعض الذين أسهموا في بناء المسجد



نقوش تزين أحد أبواب المسجد

غرناطة

"غرناطة هي أقدم مدن البيرة، بينها وبين البيرة ستة أميال، ويقال لها أيضا أغرناطة، وتعرف بمدينة اليهود، ويشق مدينتها نهر يقال له حدارة." (1)

كانت غرناطة إمارة لبني زيري، الذين بنوا أسوارها وقصورها ومساجدها وفتحوا الشوارع والأقنية، وجملوا المدينة القائمة في السهل تحت جبل البياسين وقد تسلمها منهم المرابطون سنة (483هـ-1091م) فبقيت تحت ولايتهم حتى سنة (561هـ-1160م) حين أخذها الموحدون مع ما أخذوا، وفي هذين العهدين كبرت غرناطة واتسعت حتى أضحت من أكبر مدن الأندلس وأهمها، وصارت إمارة تابعة للسلطان. مساحتها 75 هكتارا وفيها 1400 دار يسكنها نيف وستة وعشرون ألفا، فيهم كثير من الشاميين واليهود وقسم من البربر، وقد آلت بعد هزيمة العقاب إلى ابن هود، فلما اغتيل صارت إلى ابن نصر الذي حكمها واحدا وأربعين سنة، متخذًا خلالها لقب الغالب الذي ما يزال يُظَل في جنبات الحمراء من خلال شعار ولا غالب إلا الله (2).

مات ابن نصر وقت بدء بناء القسبة على مرتفع في الجنوب الشرقي من المدينة، على أنقاض قلعة أموية سابقة، وكان قد اتخذ فيها داره التي عرفت بالحمراء، كما بدأ في بناء أسوار للمدينة كلها. خلفه ابنه أبو عبد الله محمد الثاني فاستكمل بناء القسبة وأتم جزءا كبيرا من السور المحيط بها، ويرجع الفضل في بناء المسجد الجامع بغرناطة إلى الحفيد محمد الثالث (3).

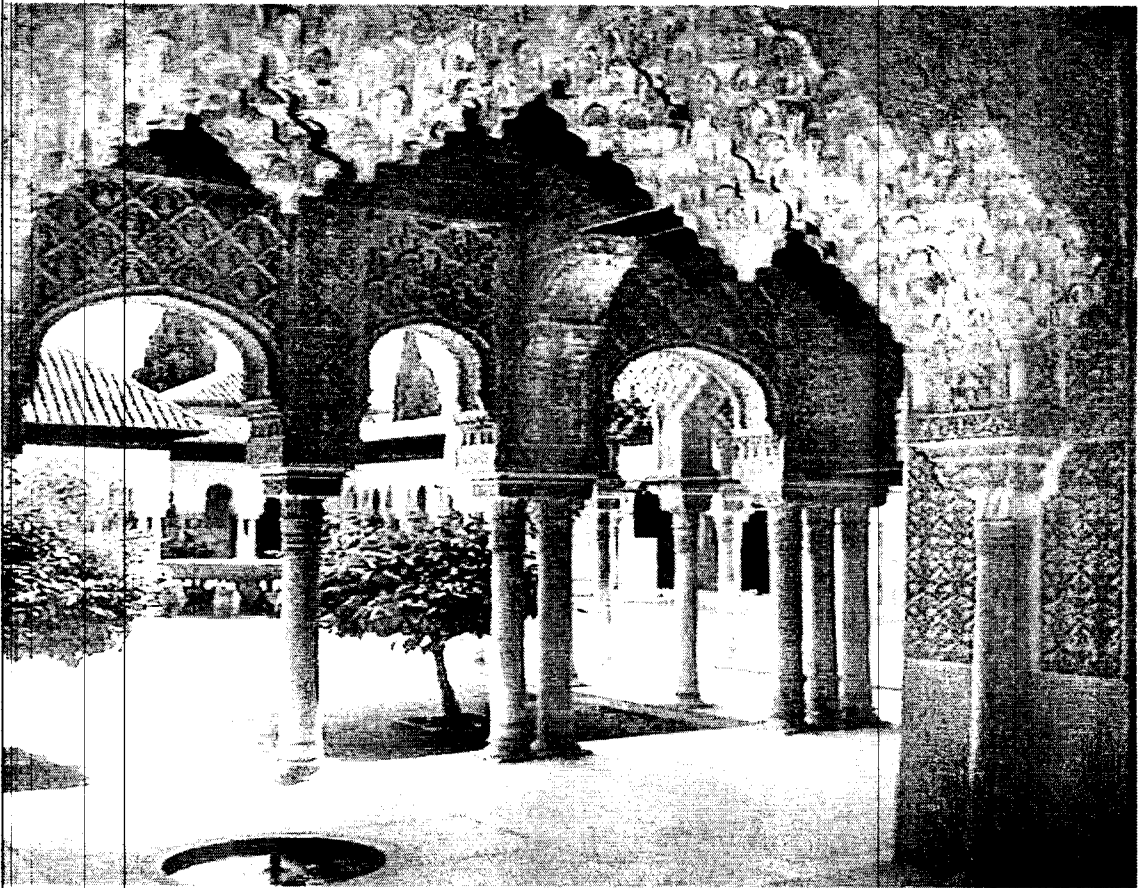
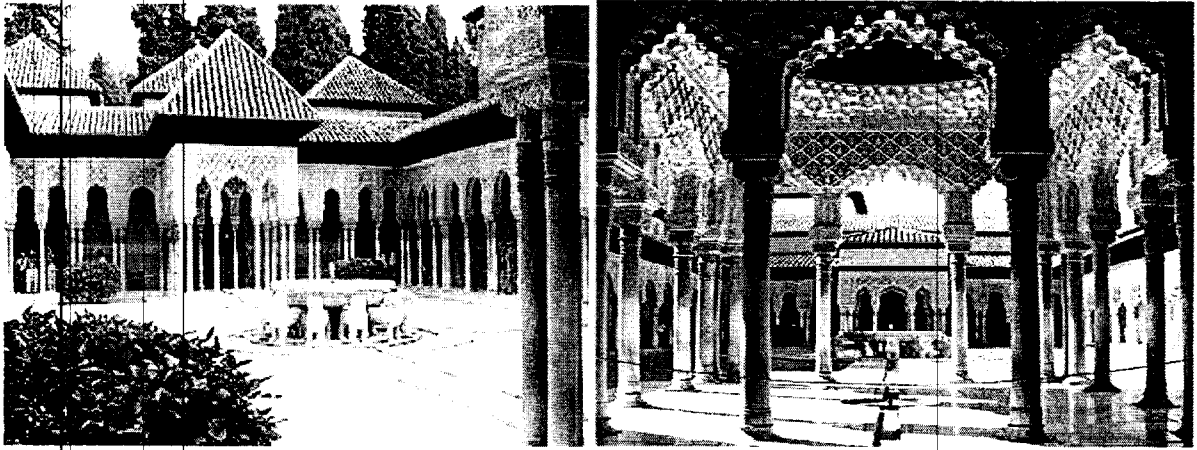
1- الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، أبو محمد السافي وابن الخراط الاشبيلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد 1990: 174.
2- الأندلس في التاريخ، شاكر مصطفى، دار الاشبيلية، سوريا 2002: 131.
3- المرجع نفسه: 132.

قصر الحمراء :

إذا كان محمد بن نصر بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية هو الذي بدأ بإنشاء الحمراء سنة 1238م، فإن معظم مبانيها القائمة إلى اليوم ومعظم السحر الفني الذي يتجلى فيها يرجع الفضل فيه إلى السلطان أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج، وهو الذي بنى بوابة عربية هائلة ارتفاعها خمسة عشر متراً، كانت الباب الرئيسي الذي يدخل منه رجال الدولة وأهل الحاخامات من الناس، تقابلها من جهة أخرى بوابة تسمى باب النبيذ، ثم نجد ميداناً فسيحاً يسمى ميدان الجب أي ميدان صهريج الماء، وعلى اليسار توجد القسبة، وهي مجموعة من الحصون والأبراج تقوم على حافة الجبل، فالحمراء لم تكن قصوراً فحسب وإنما كانت قصوراً وحصون ودواوين، وهي لهذا تنقسم بوضوح إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: القسبة والقسم الثاني: المباني العامة والقسم الثالث: دور السلطان ويفصل بين القسبة والمباني العامة والخاصة ميدان الجب، كما يفصل بين المنشآت العامة ودور السلطان بهو قمارش.⁽¹⁾

صنعت جدران قصر الحمراء من مزيج من الكلس والرمل والصلصال والحصباء. كما يتميز قصر الحمراء عن القصر الإشبيلي بجدرانها الملونة المصنوعة من القوالب، وعمده الخلفية أفقية الخطوط حاملة تيجان منقوشة على شكل الأغصان المتشابكة.

1- رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود: 174.



بهمو السباع

وبلغ حسن الفن العربي الأندلسي غايته في قصر الحمراء الذي أنشئ في القرن الثالث عشر من الميلاد وعلى مما فيه من غلو في الزخرف نرى هذا الغلو وليد ذوق رفيع".⁽¹⁾

اشتهرت الحمراء، المدينة السلطانية التي ضمنت دواوين الدولة وسكنى الخاصة بروعة فنها المعماري وبراعة هندستها، وجمال زخارفها وألوانها وامتداد حدائقها وبنيت الحمراء على رابية قريبة من مدينة غرناطة عاصمة المملكة التي حملت اسمها طوال عمرها.⁽²⁾

وباب الرمان عبارة عن عقد حجري ضخم، يقوم طرفاه على عمودين كبيرين كان يسمى في البداية باب بني غماره، ولكن سمي فيما بعد باسمه الحالي وهو باب الرمان، وهو شعار غرناطة المشتق من اسمها، وتبدو من وراء باب الرمان غابة رائعة، تتفصح بها ثلاث طرق عريضة يفضي أولها وهو الأيمن إلى الأبراج الحمراء، والأوسط إلى جنة قصر العريف، والثالث، وهو الأيسر يفضي إلى باب الشرعة أول أبواب الحمراء.

والطريق المفضي إلى باب الشريعة طريق صاعد، صفت على جانبيه المقاعد الحجرية، وأنشئ في ناحيته اليسرى قبيل الباب بقليل حوض مستطيل مزخرف نقشت فوقه صور لبعض الأساطير اليونانية.⁽³⁾

وفي منتصف الطريق الصاعد يوجد ميدان صغير يطلق عليه باب الشريعة ويبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر مترا وقد صنع عقده المزخرف على شكل حدوة الجواد. وراء باب الشريعة مجاز معقود، به في الناحية اليمنى محراب، وفي

1- فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية: 189.

2- الحضارة العربية في الأندلس، سلمى الجبوسي، مركز دراسات الوحة العربية. ط2. 1999 م: 120.

3- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال: 180.

نهايته من الناحية اليسرى يوجد باب النبيذ، وفي شمال هذا الدرب ميدان شاسع، في جنوب قصر الحمراء وإلى اليسار توجد الساحة التي يطلق عليها اسم القصبية أو الحصن، وفي نهايتها البرج الضخم الذي يسمى برج الحراسة .

يحيط بمدينة الحمراء سور ضخم تتخلله عدة أبراج هي برج الحراسة و برج قمارش و برج المتزين و برج العقائل و برج الأكام و برج الأسيرة و برج الأميرات و برج الرؤوس، و عدة بوابات مثل باب الغندور و باب الطباق السبع و باب الشرعة و باب السلاح و باب النبيذ الذي سبقت الإشارة إليه (1).

ويمكن أن نقسم أبنية قصر الحمراء إلى جناحين كبيرين: الأول جناح قمارش الذي يضم قاعة السفراء و برج قمارش الذي يعلوها، و جناح الأسود الذي يتوسط فناء الأسود.

ومتزين الملكة وهو عبارة عن جناح علوي صغير يقع في نهاية الطرف الشمالي للحمراء تحت البرج المسمى برج المتزين وهو برج يرجع إلى عصر السلطان يوسف أبي الحاج ويحتوي متزين الملكة على بهو صغير منخفض السقف وقد أنشئ في القرن السادس عشر. وهناك ناحية صخرية مهجورة من القصر تقع في غربه كانت زاوية أو مصلى فيها مكان ميضأة ومجاريها وقاعدة مذنة صغيرة، ويضم خراب الروضة الذي يقع خارج القصر في جنوب شرقي فناء السباع مدفن ملوك بني نصر (2).

وكان مسجد الحمراء يقع وسط الهضبة وقد أمر بإنشائه السلطان محمد المخلوع المعروف بمحمد الثالث ملك غرناطة سنة (1302-1309م) أنشأه على

1- المرجع السابق: 190-191.

2- المرجع نفسه: 109-110.

أبدع طراز وزوده بالعمد والزخارف والثريات الفخمة، فكان على صغر ساحته من أفخم مساجد غرناطة.⁽¹⁾

الزخرفة الخطية في قصر الحمراء :

1- باب الشريعة : نقش على قوسه سطران كتب فيهما بخط أندلسي متشابك تاريخ إنشائه على النحو الآتي "أمر بناء هذا الباب المسمى باب الشريعة أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله فخرا باقيا على الأيام مولانا أمير المسلمين السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبي الوليد بن نصر، كافي الله في الإسلام صنائعه الزاكية وتقبل الله أعماله الجهادية، فتيسر ذلك في شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمئة جعله الله عزة وافية وكتبه في الأعمال الصالحة الباقية".⁽²⁾

2- لا غالب إلا الله : شارة بني نصر كتبوها في كل صورة يتخيلها العقل على كل شئ من البناء "كانوا يقولونها إذا انتصروا تواضعا لله وكانوا يقولونها إذا انهزموا أملا في نصر قريب"⁽³⁾

3- فناء الريحان : نقشت في زوايا فناء الريحان العبارة الآتية : "النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عبد الله أمير المؤمنين " ونقشت عبارة ولا غالب إلا الله عدة مرات.

1- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ج1، مكتبة الحادي في القاهرة. 1976: 55.

2- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال: 128.

3- رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود: 199.

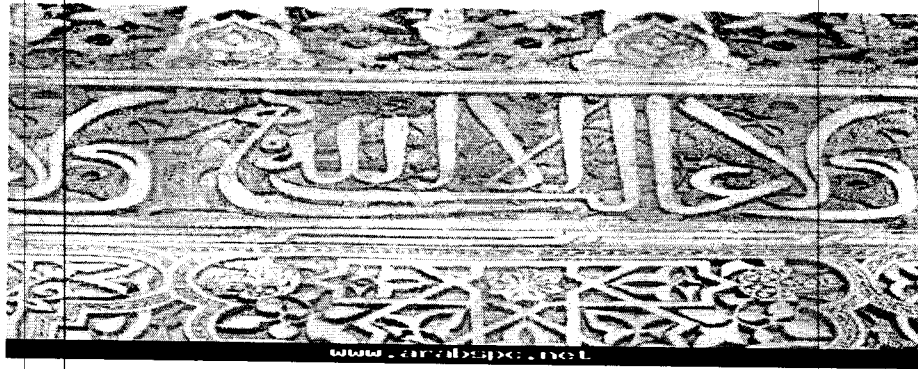
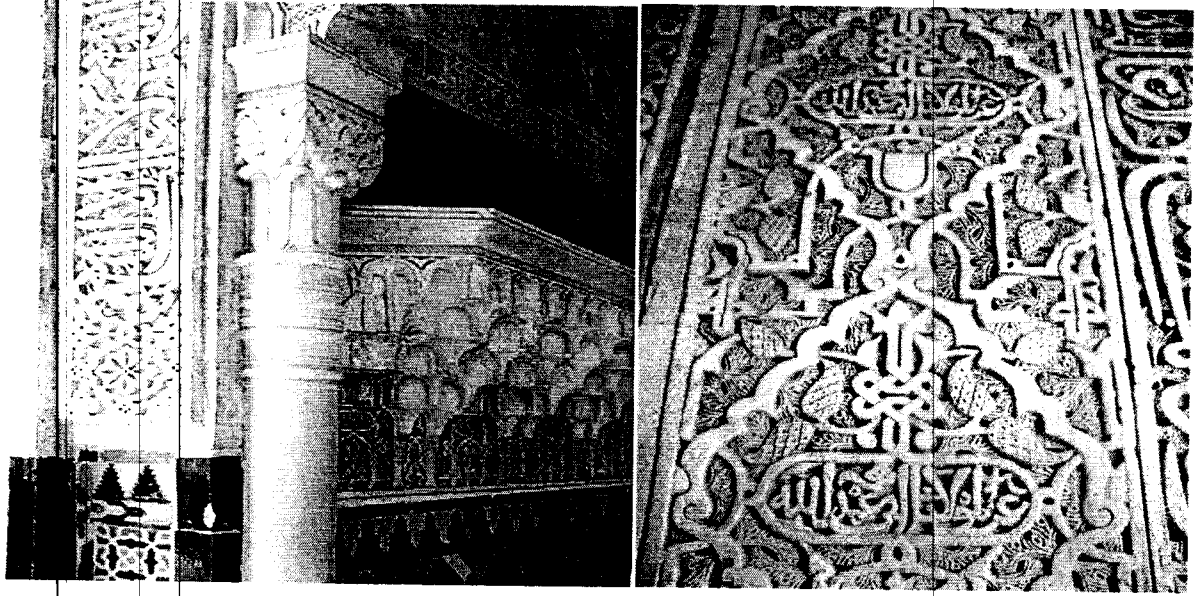
ونقشت على الإفريز الرخامي الأوسط لهذا الفناء قصيدة من اثني عشر بيتاً
منقوشة بالخط الثالث الأندلسي وقد أجريت عليها ترميمات عديدة⁽¹⁾

وهي كالآتي:

تَبَارَكَ مَنْ وَلاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ	وأولى بك الإسلام فضلاً وأنعمًا
فَكَمَ بِلَدَةِ الْكُفْرِ صَبَّحَتْ أَهْلَهَا	وأمسيت في أعمارهم مُحَكَّمًا
وَطَوَّقَتْهُمْ طَوْقَ الْإِسَارِ فَأَصْبَحُوا	بِبَابِكَ يَبْنُونَ الْقُصُورَ تَخَدُّمًا
وَفَتَحَتْ بِالسَّيْفِ الْجَزِيرَةَ عُنُوهُ	فَفَتَحَتْ بَابًا كَانَ لِلنَّصْرِ مُبْهَمًا
مِنْ قَبْلِهَا اسْتَفْتَحَتْ عِشْرِينَ مَعْقَلًا	وَصَيَّرَتْ مَا فِيهَا لَجَيْشِكَ مَعْنَمًا
فَلَوْ خَيْرَ الْإِسْلَامِ فِيمَا تَرِيدُهُ	لَمَا اخْتَارَ إِلَّا أَنْ تَعِيشَ وَتَسْلَمًا
لَقَدْ لَاحَ أُنُورُ الْجَلَالِ بِبَابِكَ	يَفْتَرُّ مِنْهَا النَّدى بِشْرًا وَالسَّمَا
وَأَثَارُهَا فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ أَهْدَى	وَأَوْضَحَ بَدْرٍ إِذَا انْتَضَمًا
طَلَعَتْ بِأَفْقِ الْمَلِكِ رَحْمَةً	لِتَجْلُو مَا قَدْ كَانَ بِالظُّلْمِ أَظْلَمًا ⁽²⁾

1- المرجع السابق: 201.

2- ديوان ابن زمرك، تحقيق توفيق محمد، ط1، دار الغرب الإسلامي 1997 م : 122.



شعار بني نصر يتكرر على جدران الحمراء

وقد نقشت فوق الأبيات المذكورة وتحتها عبارة ، ولا غالب إلا الله باستمرار.

4- بهو البركة : هو بهو صغير بلا قبلة زين بنقوش جميلة وقد نقش على جانبها الأيمن ما يأتي :⁽¹⁾

أنا مُحَلَّةٌ عَرُوسٌ ذاتُ حُسنٍ وَكَمالٍ
فانظرُ الإبريقَ تَعْرِفُ فَضلاً صِدْقِي في مَقالٍ
واعتبرِ تاجي تَجِدُه مُشَبَّهاً تاجَ الهِلالِ
وابنُ نَصْرِ شَمْسُ مُلْكٍ في ضِياءٍ وَجَمالِ
دامَ في رِفعةٍ شَأنِ أماناً وَقتَ الزَّوالِ
وعلى جانب القبلة الأيسر ما يلي:

وأنا فخرٌ لِصلاةٍ سَمُّهُ سَمَتَ السَّعادةِ
تحسبُ الإبريقَ فيها قائماً يَقْضي عِبادَه
كُلِّما يُقَرَعُ مِنْها وَحِبَتُ فيها الإِعادةِ
وبمولايِ ابنِ نَصْرِ شَرَّفَ اللهُ عِبادَه⁽²⁾

1- قصور الحمراء، ديوان الحضارة والنقوش العربية، محمد الجمل مكتبة الإسكندرية 2004 : 176 .

2- ديوان ابن زمرك: 176-177 .

نقوش الأبيات التي تزين الطاقة
اليمنى قاعة البركة.



نقوش الأبيات التي تزين الطاقة اليسرى
قاعة البركة



ومن نظم ابن زمرك ، أبيات مرقوشة على عقود طاقات ممر يصل قاعة البركة بقاعة السفراء وترجع إلى عصر السلطان محمد الخامس ابن يوسف الأول ونصها:

يا ابنَ المُلوكِ وأبناءَ المُلوكِ ومن تعنوا النُجومُ لهم قدرًا إذا انتسبوا
إن كنتَ شَيِّدَتَ قصرًا لا نظيرَ له حازَ العلى وَسَمَتَ من دونهِ الرُتَبُ
حيثُ الخِلافةُ يُتلى من عجائبها غرائبًا أودِعَتها الصُحفُ والكتُبُ
شَيِّدَتَ للدينِ في العلياءِ شاهِقَةً بيتًا من العزِّ لم تمددَ له طُنبُ (1)

5- بهو السفراء (قمارش):

إن أروع ما في بهو قمارش زخارف قبته التي لبثت محتفظة بنقوشها الأصلية، أما نقوش الجدران فإنها مع جمالها ليست إلا تجديدًا مقلدا لنقوشها القديمة قام به الفنانون الإسبان .

وقد نقشت في عقد باب بهو السفراء العبارات الآتية : " الحمد لله على نعمة الإسلام عز مولانا أبو الحجاج عز نصره " ، ونقشت في جانب العقد الأيمن بعد عبارة الحمد لله الأبيات الآتية: (2)

فَقَتُ الحِسانَ بحلبتي وبتاجي فهوتَ إليَّ الشَّهبِ في الأبراج
يَبْدُو إناءُ الماءِ فيه كعابدٍ في قبلةِ المحرابِ كان يُناجي
ضَمِنْتَ على مر الزَّمانِ مكارمي ريَّ الأوامِ في حاجةِ المحتاجِ (3)

1- المصدر السابق : 211.
2- فن الرقوش في الشعر الأندلسي ، إيمان الجمل ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية : 84.
3 - ديوان لسان الدين بن الخطيب، ت محمد مفتاح، دار الثقافة، المغرب: 1989 : 340.

الأبيات السابقة منقوشة بخط الثلث الأندلسي على مهاد من الزخارف
النباتية للسان الدين بن الخطيب في مدح السلطان يوسف الأول وذكر مآثره
والتغني بمنشأته وأعماله المعمارية ، ويبلغ ارتفاع الإزار الكتابي لكل طاقة
156سم وعرضه 96سم.(1)

ونقش في الدائرة العليا للبهو العبارة الآتية مكررة باستمرار "عز لمولانا السلطان
أبي الحجاج".

ونقشت في أسفل مدار القبة بحروف بيضاء الآيات الآتية :

﴿ تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۗ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن
تَفَوتٍ ۗ فَاذْجَعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ ﴿٤﴾ (2)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن یُجیرُ الْکَافِرینَ مِن عَذَابِ الْیَمِّ ﴿١﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ
ءَامِنًا بِهِ ۗ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۗ فَسْتَعْمَلُونَ مَن هُوَ فِی ضَلَالٍ مُّبینٍ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن
یَأْتیکُمْ بِمَاءٍ مَّعینٍ ﴿٣﴾ (3)

1- ينظر فن الرقوش في الشعر الأندلسي: 85.

2- سورة الملك الآية: 1-4.

3- سورة الملك الآيتين: 28-30.

وتقرأ كذلك في جدرانه المشرقية وهو الجدار الشمالي للبهو هذه العبارة منقوشة في أعلاه " النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي الحجاج أمير المسلمين نصره الله" مكررة مرارا. ثم تقرأ هذه العبارة في الدوائر العليا لجدران البهو مكررة "عز لمولانا السلطان المجاهد أبي الحجاج عز نصره".⁽¹⁾ ونقش في محيط البهو ولا غالب إلا الله .

ونقشت في الفجوات الأخرى العبارة الآتية : "النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا الحجاج أمير المسلمين أيد الله أمره وعز نصره " ولا يخلو هذا الجناح من بعض النقوش منها عبارة "لا غالب إلا الله"، "والله عدة كل شيء" "النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عبد الله أمير المؤمنين".

6- قاعة الأختين :

نقش عند مدخلها بالخط الكوفي "ولا غالب إلا الله" مكررة ونقشت هذه العبارة أيضا حول جدرانها في أسفل وأعلى، ونقش تحتها هذه الأبيات، وهي مقتبسة من قصيدة للوزير ابن زمرك في وصف الحمراء⁽²⁾:

تَبَيَّتْ لَهُ كَفُّ الثَّرِيَا مُعِيذَةً	وَيُصْبِحُ مَعْتَلُ التَّوَاسِمِ رَاقِيَا
فَبَيَّنَ يَدِيْ مَثَوَاكَ قَامَتِ لَخْدِمَةٍ	وَمَنْ خَدَمَ الْأَعْلَى اسْتَفَادَ الْمَعَالِيَا
وَكَمْ مِنْ قَصِيٍّ فِي دُرَاةٍ تَرَفَعَتْ	عَلَى عَمْدٍ بِالنُّورِ بَاتَتْ حَوَالِيَا
بِهِ الْمَرْمُرُ الْمَجْلُو قَدْ شَقَّ نُوْرُهُ	فِيَجْلُو مِنَ الظُّلْمَاءِ مَا كَانَ دَاجِيَا ⁽³⁾

1- ينظر الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال: 198.

2- المرجع نفسه: 199.

3- ديوان ابن زمرك: 201.

و نقشت على الجدران كذلك هذه العبارة المكررة ،"النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عبد الله أمير المؤمنين".

7- فناء الأسود : توجد في فناء الأسود طائفة من النقوش التي كتبت بالخط النسخ أو الكوفي الجميل على الجدران والأعمدة والنافورة ومنها :

نقش شعار بني نصر "ولا غالب إلا الله" بالنسخ والكوفي في جانب القبلة وراء الأعمدة، وفوق رأس كل عمود ثان "عز لمولانا السلطان أبي عبد الله الغني بالله" ونقش على الأعمدة التي تحمل القبة المواجهة أي القبة البحرية "ولا غالب إلا الله" ونقش على رؤوس الأعمدة في المجموعتين الأخيرين "عز لمولانا السلطان أبي عبد الله الغني بالله" (1).

ونقش في الداخل وراء القبة، في صدر البهو الصغير الذي يلحق بالفناء من الناحية البحرية العبارة الآتية : "أبو عبد الله أمير المؤمنين ،النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أمير المسلمين" "ولا غالب إلا الله" ونقش على رؤوس مجاميع الأعمدة التي تزيد على اثنين ما يأتي: "عز لمولانا السلطان العادل المجاهد أبي عبد الله الغني بالله "

وإلى جانب هاته الأدعية التي تشيد بذكره منشى هذا الفناء، نقشت قصيدة فوق دائرة حصن النافورة التي تحملها الأسود، تضم اثني عشر بيتا وهي من نظم الوزير ابن زمرك ومنها أبيات وردت في قصيدته في وصف الحمراء (2):

تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى الْإِمَامَ مُحَمَّدًا مَغَانِي زَانَتْ بِالْجَمَالِ الْمَغَانِيَا
وإلا فهذا الرّوضُ فيه بدائعُ أبا الله أن يُلقِي لها الحُسنَ ثانيًا

1- ينظر الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال :200.

2- المرجع نفسه:202.

ومنحوتة من لؤلؤ شَفَّ نُورُهَا	تَحلى بمرفض الجُمان النَّواعِيَا
يُدُوبُ لُجَيْنٌ سَالَ بَيْنَ جَوَاهِرِ	غَدَا مِثْلَهَا فِي الْحُسْنِ أَبْيَضَ صَافِيَا
تَشَابِهَ جَارٍ لِلْعِيُونِ بِجَامِدِ	فَلَمْ نَدْرَأِيَا مِنْهُمَا كَانَ جَارِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَجْرِي بِصَفْحِهَا	وَلَكِنَّا سَدَدَتْ عَلَيْهِ الْمَجَارِيَا
كَمِثْلِ مُحِبِّ فَاضٍ بِالذَّمْعِ جَفْنُهُ	غِيضَ ذَلِكَ الدَّمْعِ إِذْ خَافَ وَاشْيَا
وَهَلْ هِيَ فِي التَّحْقِيقِ غَيْرَ غَمَامَةٍ	تَفِيضُ إِلَى الْأَسَادِ مِنْهَا السَّوَاقِيَا
وَقَدْ اشْتَبَهَتْ كَفُّ الْخَافِيَةِ إِذْ غَدَتْ	تَفِيضُ إِلَى أَسَدِ الْجِهَادِ الْأَيْدِيَا
وَيَا وَارِثَ الْأَنْصَارِ عَنْ كِلَالَةٍ	تُرَاثَ جَلَالِ يَسْتَحْفُ الرِّوَايِيَا
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فَاسْلَمْ مُخْلَدَا	تَجِدُّ أَعْيَادَا تُبْلَى أَعَادِيَا ⁽¹⁾

8 - قاعة بني سراج:

يزين الجزء السفلي من جدران القاعة الجصية، أشعار لابن زمرك مقتبسة من القصيدة المنقوشة في قاعة الأختين، وتكرر على جدران القاعة، وهي نتاج لعملية الترميم التي أجريت على القاعة على نفس طراز قاعة الأختين في أوائل هذا القرن، وسيستفاد من الرحلة التي دونها الغزال في سفارته إلى إسبانيا عام 1766 م، أن قاعة بني سراج كانت تزينها القصيدة نفسها المدونة على جدران قاعة الأختين .

زين عقد الباب (وهو من الخشب المعقود) بزخارف عربية جميلة، وقد

1- ديوان ابن زمرك: 113.

نقشت في دائرة القبة الوسطى عبارة "ولا غالب إلا الله" بالنسخ والكوفي. (1)

9- منظره اللندراخا (دار عائشة) :

يوجد في عقد المدخل فجوتان نقشت بينهما عبارة "ولا غالب إلا الله
"ونقشت في كل منهما أربعة أبيات تبدأ اليمنى منها بهذين البيتين :

كلُّ صنع أهدى إليَّ جماله وحباني بهأوه وكماله

من رأني يظنني كالتني تخطبُ الإبريقَ تبغي أن تناله

وتبدأ الأربعة اليسرى بهذا البيت :

لستُ وحدي قد اطلعَ الرّوضُ مني عجبًا لم ترَ العيونُ مثاله (2)

ونقش تحت الأبيات المشار إليها ما يأتي :

"عزّ لمولانا السلطان أبي عبد الله ابن مولانا السلطان أبو الحجاج"

ونقش في العقد الأعلى في النافذة الأمامية بالخط الكوفي "عز لمولانا
السلطان أبي عبد الله الغني بالله أيد الله أمره وأدام سعده" وغيرها من الأدعية
المماثلة، وتدل هذه النقوش على أن هذه المنظره قد أنشئت في أواخر القرن
الرابع عشر في عصر السلطان محمد الغني بالله. (3)

10- جنة العريف : يوجد في صدر ساحة جنة العريف مدخل ذو ثلاثة عقود

عربية جميلة الزخرف، وقد نقشت آية الكرسي في أحدها ، وفي القصر تتوزع

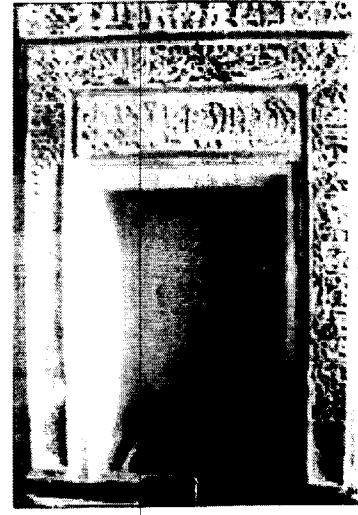
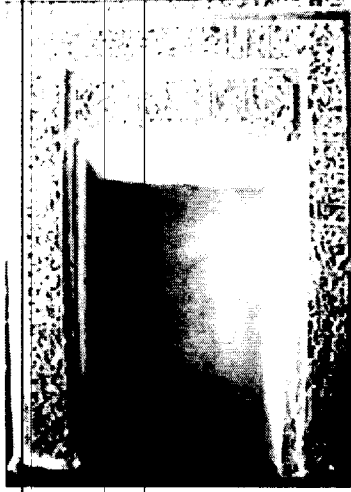
عدة نقوش متفرقة بديعة. (4)

1- ينظر الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال: 203.

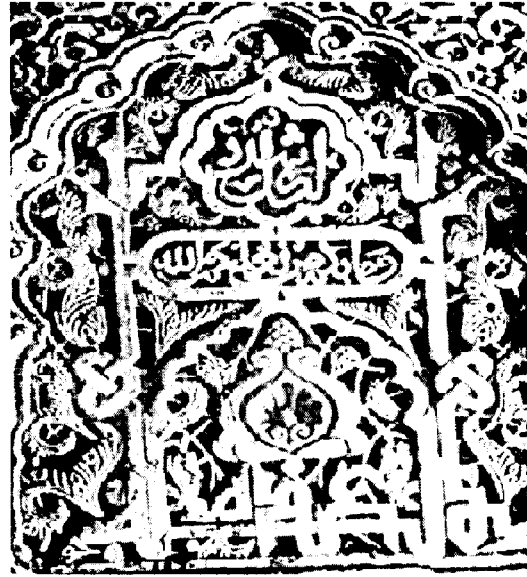
2- ديوان ابن زمرك: 145.

3- ينظر الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال: 204.

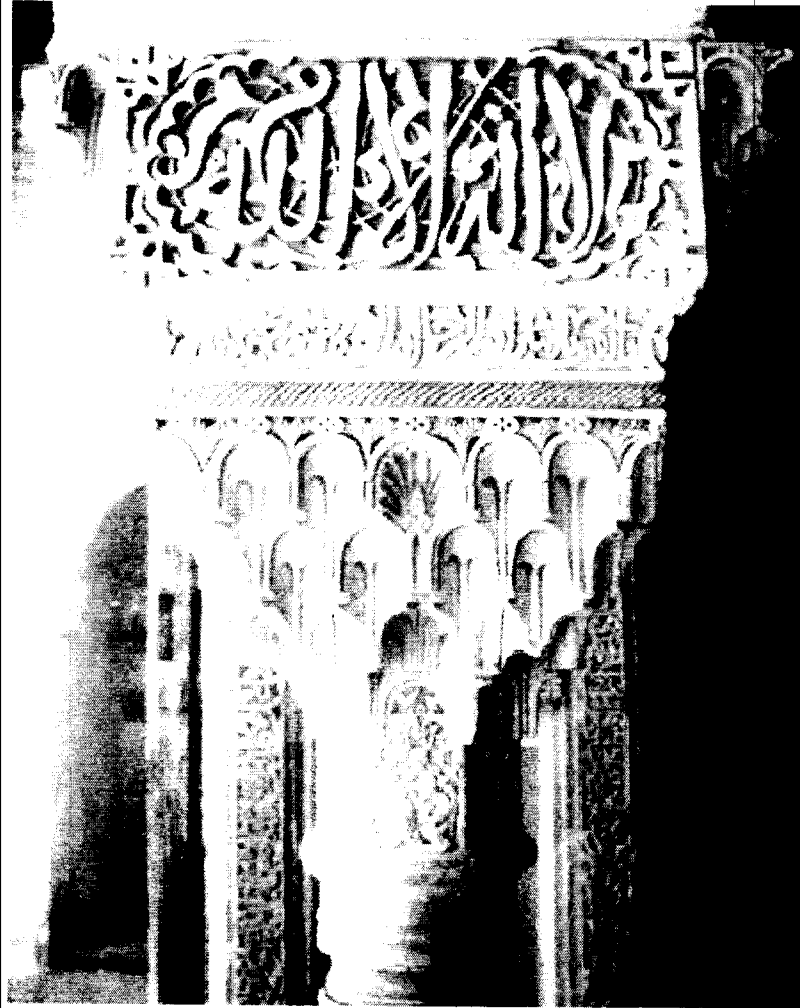
4- آفاق غرناطة ، عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة دمشق، ط1، 2000: 101.



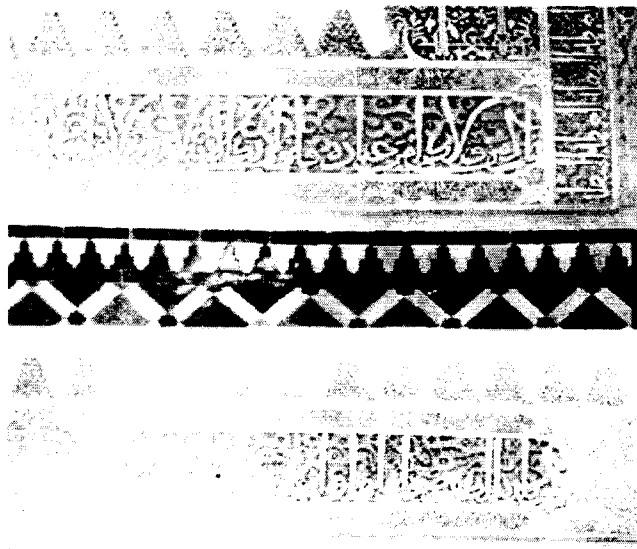
اللوحتان توضعان على الترتيب نقوش الطاقة اليمنى والطاقة اليسرى - قصر جنة العريفه



زخارفه جصية تكسو أحد جدران باحة الأسود بقصر العمراء



نقش العمود الأيسر - قصر جنة العريفه



البيتان الأول والثاني من قصيدة ابن زمرك - بهو الريحان

11 - نقوش الأبراج :

أ - برج الأسيرة :

توجد به نقوش وأبيات شعرية كثيرة تشيد بأهمية البرج وحصانته وتدل في نفس الوقت على أن الذي أنشأه هو السلطان يوسف أبو الحجاج.⁽¹⁾

والبرج مربع الشكل ويضم بداخله قاعة أساسية تفتح في جدرانها شرفات، زودت في داخلها بمخادع جانبية، وزخارف هذه القاعة لا سيما تربيعات الزليج والزخارف الجصية الملونة التي ما تزال تحتفظ ببقايا الألوان والتذهيب تجعل هذا البرج من أجمل منشآت يوسف الأول، حيث يحتفظ بأصوله المعمارية وزخارفه الأصلية التي لم تتعرض لأعمال الترميم والتجديد إلا في نطاق ضيق.⁽²⁾

وهذا البرج ازدان بقطع شعرية أكثر من سابقه إضافة إلى الأبيات المفردة أو المزدوجة التي تناثرث في جنبات البرج وكأنها الجواهر ترصعه في كل مكان فتحيطه بهالة من الجلال والجمال ومن هذه الأبيات :

يا ثقتي يا أملي أنتَ الرجا أنتَ الوليُّ

فبالنبيِّ المرسلِ اختم بخير عملي

وهذا النقش موجود أعلى طاقتين معقودتين في البهو الذي يلي مدخل البرج وهناك أبيات مفردة نقشت عن يمين الشرفات ويسارها وهي كالآتي:

حمدُ الإله رُتعةٌ لذيدةٍ فلتعملنُ القولَ في ترديدِهِ

1- ينظر الآثار الباقية في الأندلس والبرتغال: 218.

2- ينظر القصور الحمراء: 178.

فَمُ لِلصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ وَآلِهِ (1).

أما الشرفة المفتوحة في الجدار الأيسر للقاعة فقد نقش عن يمينها ثم يسارها
البيتان الآتيان :

اللَّهُ أَحْمَدُ مِنْ عَمِيمِ نَوَالِهِ حَمْدًا يَحِقُّ لِعَزِهِ وَجَلَالِهِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ وَآلِهِ

أما نقوشُ الشرفة التي تقع قبالة المدخل فهي عن اليمين ثم اليسار كالآتي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا مَانَحَا مِنْ نِعَمٍ تُرَى أَصِيلًا وَضَحَا

أَرْجُو كَمَا أَنْعَمَ فِيمَا قَدْ مَضَى لَعَلَّهُ فِيمَا بَقِيَ أَنْ يَسْمَحَا (2)

"ويتكرر على جدران البرج بيت شعري بخط الثلث ينحصر داخل أفاريز
مفصصة وينتهي طرفاه بعقود ونطالعه بالطبق الأدنى من البرج ونصه :

أَنْعَمْتَ يَا رَبُّ فَزِدْ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْ قُصِدِ (3)

وعن المقطوعات المنقوشة على جدران البرج من الداخل يطالعنا نقش واقع إلى
يمين الداخل من باب القلعة ونصه :

بَرْجٌ عَظِيمُ الشَّانِ فِي الْأَبْرَاجِ قَدْ بَاهَتِ الْحَمْرَاءُ مِنْهُ بَتَاجِ

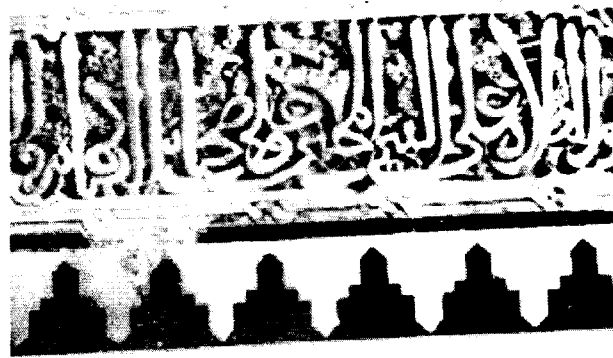
قَلْهَرَةٌ ظَهَرَتْ لَنَا وَاسْتَبَطَّنَتْ قَصْرًا يَضِيءُ بِنُورِهِ الْوَهَاجِ⁴

1- فن الرقوش في الشعر الأندلسي: 135.

2- ينظر المرجع نفسه: 197.

3- ينظر قصور الحمراء: 183.

4- المرجع نفسه: 184.



نقوش شرفاته برج الأسيرة

والمنقوشة الثانية تأتي من باب اليسار منها :

قد شرفَ الحمراءَ برجٌ مشرقٌ في الجو دَبَّرَهُ الإمامُ الأشرفُ
قلهرةٌ في ضِمْنِهَا قَصْرٌ فقلُ هي مَعْقِلٌ أو للبشائرِ مانف
حيطائها فيها رُقُومٌ أعجزتْ أمد البليغِ فحُسْنُهَا لا يُوصَفُ⁽¹⁾

ب- برج الأميرات :

وقد زينته نقوش بالدعاء للسلطان أبي عبد الله المستغني بالله وهو على الأغلب
السلطان محمد الغني بالله.⁽²⁾

12- نقوش المدرسة:

رقش باب المدرسة بأبيات للوزير ابن الجياب:

يا طالبَ العِلمِ هذا بابُهُ فُتِحَا فادخل تشاهد سنأه لاح شمسَ طُحِي
واشكر مُجيرَكَ مِنْ حِلِّ ومُرْتَحِلِ إذ قَرَّبَ اللهُ مِنْ مَرَمَاكَ مَبْرَحَا
وشرَّفَتْ حَضْرَةَ الإسلامِ مدرسةً بها سَبِيلُ الهُدَى والعِلمِ قَدْ وضَحَا
أعمالُ يوسفَ مولانا ونيئُهُ قد طُرُزَتْ صُحُفًا ميزانها رَجَحَا⁽³⁾

وحين خلف بن الخطيب أستاذه بن الجياب في الوزارة أنشأ قصيدة ميمية
من تسعة أبيات على بحر الطويل، أمر برقشها على أحد جدران المدرسة⁽⁴⁾

1- ينظر قصور الحمراء: 185.

2- المرجع نفسه: 190.

3- ينظر نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، 4: 457.

4- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، ابن الخطيب، ت محمد كمال شيبانة، دار الكاتب العربي، القاهرة: 155-156.

وهي كالاتي :

ألا هكذا بُنِيَ المَدَارِسُ للعلم
ويقصدُ وَجْهَ اللهِ بالعمل الرّضَى
تفاخرَ مِنِّي حَضْرَةُ المَلِكِ كَلْمَا
فأجْدَى إِذَا ضَنَّ العَمَامُ مِنَ الحَيَا
فِيَا ظَاعِنًا للعلم يَطْلُبُ رِحْلَةَ
بِبَابِي حُطَّ الرَّحْلَ لَا تَتَوَّ وَجْهَةً
فَكَمَ من شَهَابٍ فِي سَمَائِي ثاقِبٌ
يَفِيضُونَ مِنْ نُورٍ مَبِينٍ إِلَى هُدَى
جَزَى اللهُ عَنِّي يُوسُفَ خَيْرَ مَا جَزَى
وتبقى عُهُودُ المَجْدِ ثَابِتَةٌ الرَّسْمِ
وُجِنِي ثَمَارَ العِزِّ من شَجَرِ العِزْمِ
تَقَدَّمَ خَصْمٌ فِي الفَخَارِ إِلَى خَصْمِ
وأهدى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ مِنَ النَّخْمِ
كُفِيَتِ إِعْتِرَاضَ البِيدِ أَوْ لَجَجَ اليَمِّ
فَقَدْ فُزْتُ، فِي حَالِ الإِقَامَةِ بِالْعُثْمِ
ومن هَالَةٍ دَارَتْ عَلَى قَمَرِ نِمْ
ومن حِكْمَةٍ تَجَلُّو القُلُوبَ إِلَى حُكْمِ
ملوكُ بَنِي نَصْرٍ عَلَى الدِّينِ والعِلْمِ (1)

13- المشور:

لقد تغيرت سمات المشور الرئيسية ولم يبق منها سوى بعض زخارفه الجصية وفسيفسائه الرخامية، وشعار بني الأحمر وبعض ما تبقى من الرقوش العربية، وأهم ما تبقى من المشور قاعته الكبرى، وفيها رقص باسم السلطان محمد الملقب بالغني بالله (2).

وفي المشور القاعة المذهبة نسبة إلى الزخارف المذهبة التي ازدانت بها، وهناك ساحة إلى جنوبها تقع سقيفة تحتها بابان: الأيسر منهما يؤدي إلى المدخل

1- ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح، دار الثقافة المغرب، ط2، 2007م: 570.

2- ينظر فن الرقوش في الشعر الأندلسي: 65.

الأصلي للقصر وقد سدت معالمه اليوم وفوق الباب ذي الدفتين طراز من الخشب
نقشت عليه هذه الأبيات (1)

مُنْصِيبي تَاجٌ وبَابي مُفْرَقٌ يَحْسَبُ المَغْرِبُ من المَشْرِقُ
والغني بالله أوصاني أن أشْرَعَ الفَتْحَ لِفَتْحِ يَطْرُقُ
فأنا مُنْتَظِرٌ طَلْعَتَهُ مِثْلَ ما يُبْدي الصَّبَّاحَ الأُفُقُ
أحْسَنَ اللهُ لَهُ الصَّنْعَ كَمَا حَسَّنَ الخَلْقَ لَهُ والخُلُقُ (2)

" وأبيات ابن زمرك التي وصف فيها قاعة المشور تعتبر الوصف الوحيد الباقي
بين أيدينا لهذه القاعة كما كانت عندما فرغت من إنشائها يد الفنان". (3)

وعلى الناحية الأخرى تدور آية الكرسي بالخط الثلث الأندلسي، وعلى جانبيها
يميناً ويساراً تجويفات مستطيلة الشكل تتخذ شكل الطاقة داخل الجدران تزيينها
أفاريز طويلة مستطيلة الشكل ينتهي طرفها بعقد مفصص.

وينحصر بداخلها أبيات شعرية للوزير ابن الجياب منقوشة بالخط الثلث الأندلسي،
ونطالع في الطاقة اليمنى الأبيات الآتية:

طاقٌ ببابِ المَجْلِسِ الأَسْعَدِ لخدِمةِ الحَضْرَةِ بالمَرَصَدِ
اللهُ وما أَحْسَنُهُ قائِماً على يَمِينِ المَلِكِ الأَوْحَدِ
كأئِماً أنيةِ المَاءِ إذ تَجَلَّى بِهِ خُودٌ على مُصْعَدِ
فأهناً بإسماعيلَ فهو الذي أكرَمَكَ اللهُ بهِ وأسْعَدَ

1- ينظر فن الرقوش في الشعر الأندلسي: 70.

2- ديوان ابن زمرك: 265.

3- غرناطة وأثارها الفاتنة، عبد الرحمان زكي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر: 81.

دَامَ بِهِ الْإِسْلَامُ فِي عِزَّةٍ

سَامِيَةِ الْقَدْرِ يَدُ الْمُسْنَدِ (1)

ونقشت في قبة المشور الأبيات الآتية:

شَاهِدْ بِعَيْنِكَ مِنِّي قُرَّةَ الْعَيْنِ

وَأَعْجَبْ لِمَا حُزْتُ مِنْ شَكْلِي وَمَنْ زَيْنِ

أَنَا الْفَرِيدَةُ فِي دَهْرِ دِيَانَتِهِ

أَنْ لَا يُرَى جَامِعًا مَا بَيْنَ أَخْتَيْنِ

قَدْ كُنْتُ دِينًا عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ فَلَمْ

تَلُو السَّعَادَةَ بِي لِلدِّينِ مِنْ دِينِي

أَشْبَهْتُ فِي شَهْرَةِ اسْمٍ وَاشْتَهَارِ عَلَى

إِيوَانِ كَسْرَى وَكَمْ بَيْنَ الْإِيوَانَيْنِ

بُيُوتُ نَارٍ يُنُورُ اللَّهُ قَدْ طَوَّيْتُ

شَتَانَ وَاللَّهِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ

كَمْ جَمَعَ الظَّرْفُ مِنِّي بَيْنَ مَفْتَرِقِ

وَأَلْفِ الْحُسْنِ مِنِّي بَيْنَ لُونَيْنِ

كَأَنِّي لِمِبَانِي الْمَلِكِ أَجْمَعُهَا

عَيْنُ وَمَوْلَايَ كَالْإِنْسَانِ فِي عَيْنِي

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَجَّاجِ أَنْشَأَنِي

فَحُجَّةَ الْحَمْدِ حَقٌّ دُونَمَا مِينِ

هُوَ الَّذِي اسْتَخْلَصَ السُّلْطَانَ مَجْتَهِدًا

بِكُلِّ بَارِي الطَّبَا مَاضِي الذَّبَابَيْنِ

وَاسْتَدْرَكَ الْفِتْنَةَ الشَّنْعَاءَ مِنْ زَمَنِ

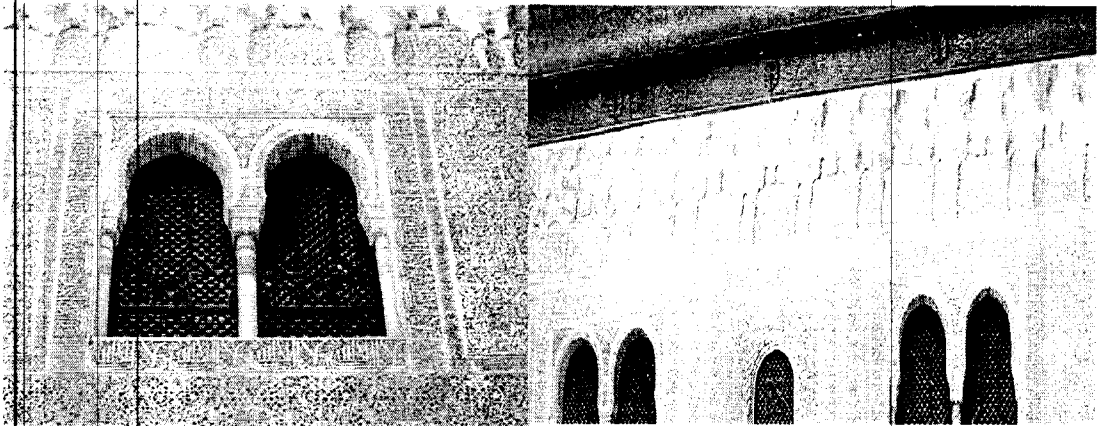
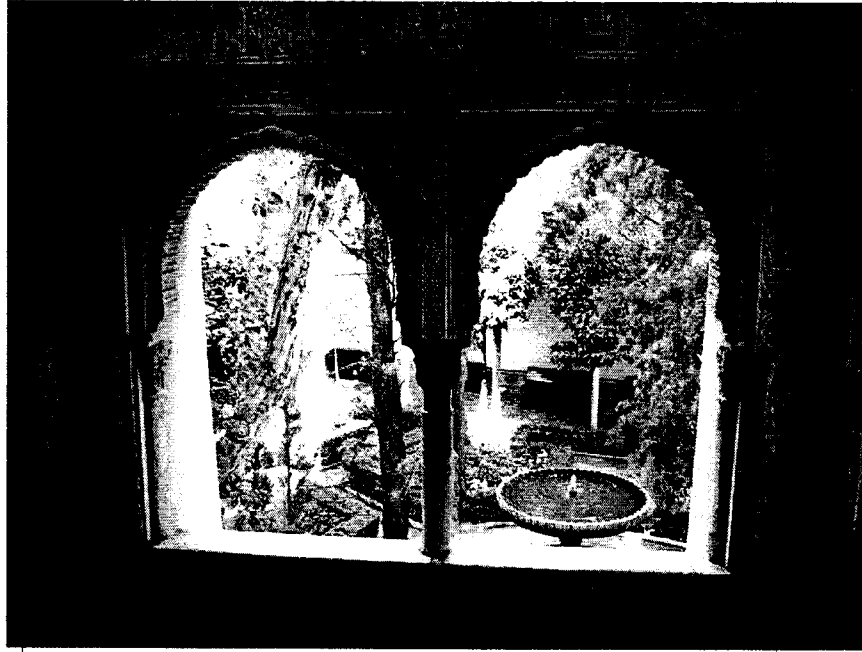
قَدْ أَلْبَسَ الدِّينَ ثَوْبَ الْعَارِ وَالشَّيْنِ

بِنَصْرِهِ أَرْسَلَ اللَّهُ الصَّبَا نَشْرًا

وَأَنْزَلَ الرُّوحَ نَفَاقَ الْجَنَاحَيْنِ (2)

1- ينظر قصور الحمراء: 166.

2- ديوان لسان الدين بن الخطيب: 2: 517.



زخارفه خطية تزين نوافذ القصر

14- قصر البرطل:

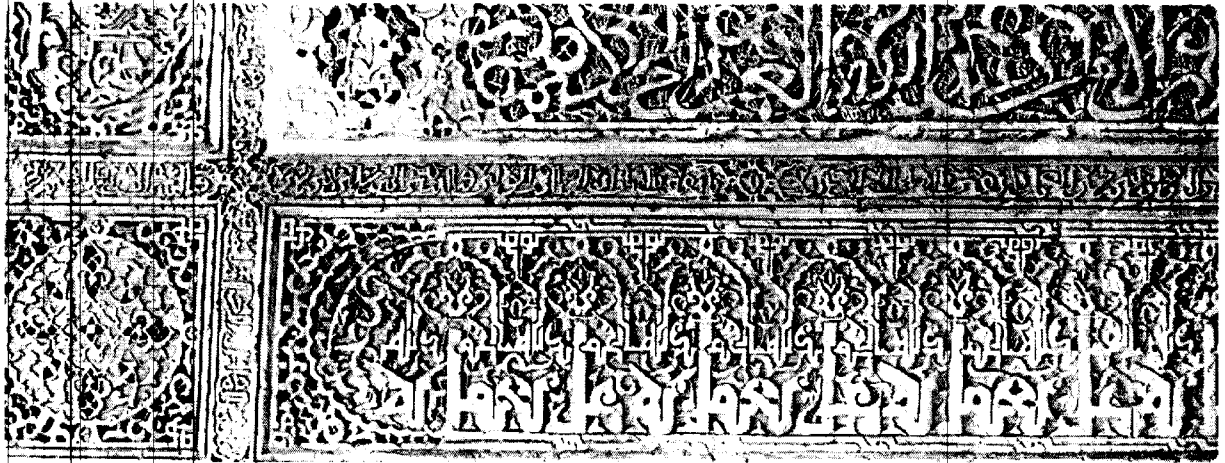
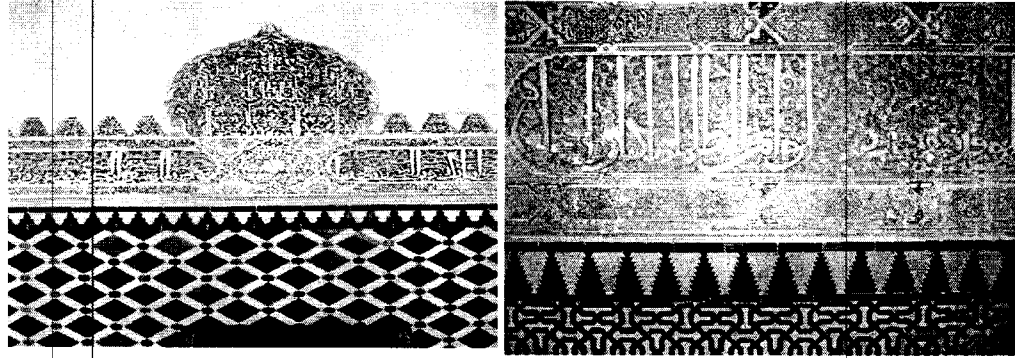
النقوش الكتابية المسجلة على القاعة الداخلية التي تلي الرواق المسقوف من قصر البرطل هي عبارة عن إطار مستطيل الشكل تتوسطه عبارة ولا غالب إلا الله، تتخذ شكل بائكة من العقود المفصصة. ينحصر بداخلها بخط نسخي دقيق، عبارة الغبطة المتصلة تتكرر عدة مرات أما الإفريز العلوي للنقش السابق فينحصر بداخله أبيات شعرية تنسب إلى الوزير ابن جياب وهي منقوشة بالخط الثلث الأندلسي ونصها كالتالي:

حييتَ يا منزلاً طافَ السُّرورُ بهِ	والسَّعدُ قد ساعدهُ العزُّ والأملُ
ونالَ فيكَ المُنَى بابكَ واتسقتْ	بشائرُ بالذي ترجوهُ متصلُ
وليلةُ فيكَ طيبا كلةُ سحرُ	ويومُهُ بالتَّوالي بشرُهُ جدلُ
لا زالَ للملِكِ يحميهِ ويُظهرهُ	والعزُّ يخدمُهُ والدَّهرُ والدُّولُ ⁽¹⁾

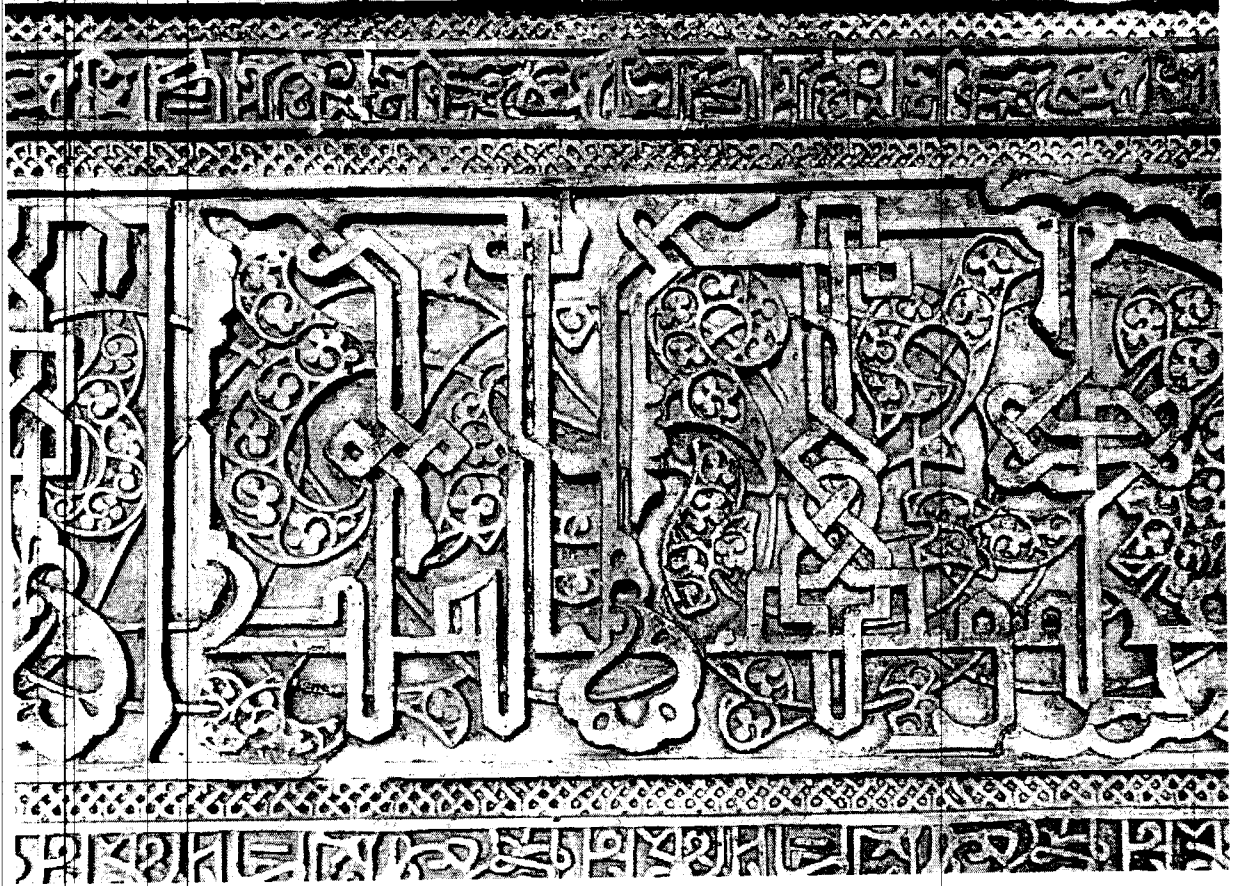
ولا يخرج مضمون الرقش عن تحية للقصر لما يعمره من السرور والسعد، وقد أسهب ابن الجياب وأطنب في ذلك وحشد عددا من مفردات البشر والسرور التي تعتبر كثيرة بالقياس إلى حجم الرقش (السرور، السعد، بشائر، طيبا، سحر، بشر) تكررت الرقوش الموجودة في قصر البرطل في العديد من القصور والأبراج الأخرى مثل الأبيات الآتية :

يا ثقتي يا أملي	أنتَ الرجا أنتَ الوليُّ
فبالنَّبِيِّ المرسلِ	اختم بخير عملي

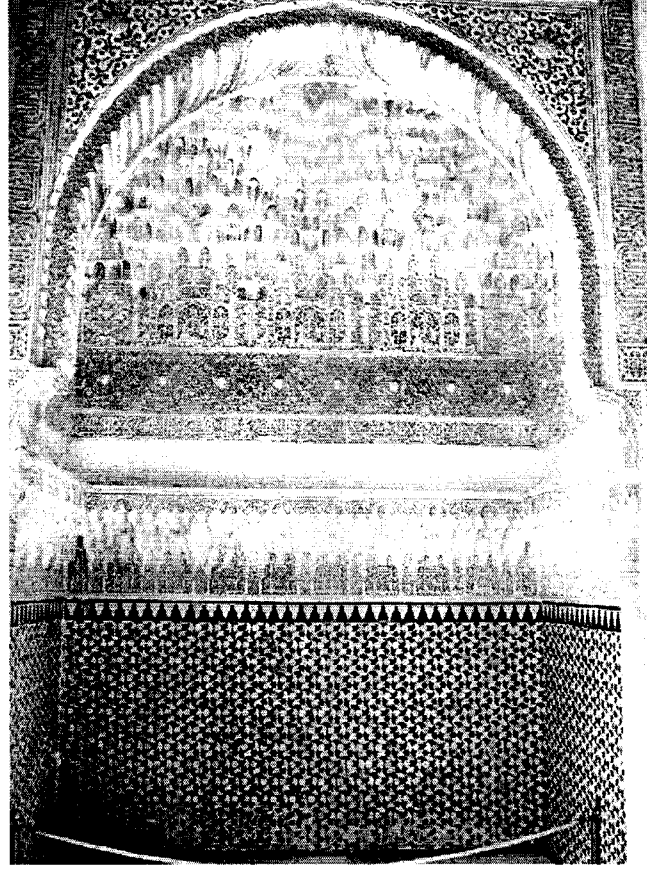
1- ينظر قصور الحمراء: 155.



أبيات شعرية لابن زمرق منقوشة على بعض جدران الحمراء



عبارة عز لمولانا السلطان منقوشة على جدران العمراء



محراب نقشته عليه عبارة ولا غالب إلا الله

القيم الفنية والحضارية التي تضمنتها الزخارف الخطية:

ترتبط المنتجات الزخرفية بواقع البيئة المحيطة ، وهي تعكس التطور الاقتصادي والاجتماعي للشعوب والقبائل، باعتبارها وسيلة تعبير عن روحها وعقيدتها وحكمتها وتقاليدها وأعراضها وطرق معيشتها ونظم تفكيرها ودرجة رقيها وسمو مدينتها، كما تؤكد انتماء شعوبها ومجد ثقافتها ومهارة سكانها وتنظيم مجتمعاتها، وقيمها الذوقية والجمالية.

فالمنتجات الزخرفية عنصر مهم في الإنتاج الاجتماعي المادي العام، وجزء من التراث الوطني والوجداني، لذلك فإنها ليست مجرد قطعة فنية جميلة كما ينظر إليها الغربيون بل هي جزء مهم من الحياة العملية للناس.⁽¹⁾

جمعت الزخارف الخطية في العمارة الأندلسية بين الفائدة والجمال، فكان لها دور كبير في المحافظة على الوحدة الثقافية الأهلية، وفي ضمان استمرار التراث الأندلسي وازدهاره، فقد كانت المحافظة على الطابع الإسلامي سببا من أسباب توحيد المشاعر والسلوك والجمع بين المسلمين.

أخذت الزخرفة الخطية أشكال متعددة بين آيات قرآنية وأبيات شعرية وأسماء من ساهموا في البناء وعبارات النصر والتمجيد للملوك.

1- الآيات القرآنية : نجدها في المساجد بكثرة وتكاد تنعدم في القصور والمباني العامة، معظمها يحث على عبادة الله والجهاد في سبيله، وجلها مكتوب بالخط الكوفي.

1- الزخرفة الإسلامية: 28.

2- الأبيات الشعرية: جاء معظمها في وصف الأبنية المنقوشة على جدرانها، ومدح السلاطين والملوك، تنوعت فيها البحور والقوافي بحيث جعلت المباني تنطق شعرا .

3- أسماء من ساهموا في البناء : بعد الفراغ من البناء نقشت أسماء وألقاب المهندسين والبنائين على الجدران.

تراث الأندلسيين الزخرفي ليس تاريخا مضى وإنما هو مادة و روح يمكن استخدامه واستلهامه أدوارا مهمة في الحياة المعاصرة للمسلمين ،فتلك الزخارف تجذب فكر المسلم وتلفت انتباهه وتثير وجدانه ،وتحسسه بأهمية هذا التراث الحضاري العريق الضخم في مفاهيمه التاريخية ،وحياته الاجتماعية وقيمته الجمالية ،فيكون التراث الزخرفي سلاحا ماضيا يساعد على شد قوى المسلمين وتعبئته نفسيا واجتماعيا وحضاريا لمواجهة الغزو الاستعماري وبعث الحياة في الأمة ودفعها إلى الأمام .

"لقد تركت الحضارة الأندلسية شواهد مادية وأثرية في العمارة والفنون الزخرفية واحتلت مكان الصدارة في العالم وكان لها من الريادة والقوة والجمال والانتشار ما لم يستطع الغرب إنكاره وحجب نوره الذي أضاء العالم" (1)

لقد ظلت الفنون الزخرفية عند المسلمين تزدهر وتضمحل تبعا لدرجة قوة الدولة الاقتصادية والحضارية، وكانت إرثا ينقله الخلف عن السلف بواسطة التعليم النظري والتطبيق العلمي فرسخت الحرف في ذاكرة الأجيال التي تعدتها بالحفظ والصون حتى باتت جزء لا يتجزء من وجدان المسلمين.

1- المرجع السابق: 32 .

مجلد
پندرہم
حصہ

تتميز النقوش الكتابية في العمارة الأندلسية بتطور هائل في النقش والزخرفة وصور أشكال الحروف، ومن الواضح أن الفنان الأندلسي وفق غاية التوفيق في تقسيم الجدران إلى مساحات متناظرة ومتماثلة تغمرها النقوش في تشكيلات زخرفية بديعة، تتميز بالتناسق وحسن التوزيع، مما يعبر تعبيراً صادقا عما وصل إليه الفنان في الأندلس من قدرات عالية في ابتكار صورة متعددة لفنون النقش الكتابي، فقد جعل من النقوش الكتابية مجالاً رحباً للزخرفة أسبغت على الزخارف التي تكسو جدران المساجد والقصور والمجالس والقاعات مظهراً لا مثيل له في أي عصر من العصور.

وإذا كان الفن صورة تنعكس عليها الحياة بأبعاد خاصة بالفنان وخيالاته فإنه يكشف عن قيمة الخلق الأعظم على هذه الهيئة من الانسجام وهذه الكيفية من التناسق اللتين يجدهما في ذاته أولاً وفي الحياة الكونية من حوله ثانياً. فالفنان، شاعراً كان أم معمارياً، أم خطاطاً فهو ينقل أحاسيسه المرتبطة ارتباطاً عضوياً بمجتمعه ومن ثم تتواصل المجتمعات بلغة فنية تذوب فيها الفواصل المكانية بما تحمله من اختلافات جنسية أو عقائدية أو لغوية وهكذا الحال بالنسبة للفنان الأندلسي.

أما ما يلفت النظر في تلك العلاقة بين الشعر وبين المبنى، أن المبنى ينطق الشعر الذي وجد فيه المعبر عنه فبدأ وكأنه كائن حي يتحدث ويفصح ويفخر بما هو عليه من جمال وزينة ويطلب من الزائر أن يقف ليتحقق من مقولته وصدقها.

لقد أدى تجويد الخطوط العربية إلى إبداع لوحات رائعة من الكتابات على الأبنية تراثاً فنياً بديعاً مازال يأخذ سحره الباب الناظرين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر والمراجع:

- 1- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، مكتبة الناخي القاهرة 1962م.
- 2- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، مكتبة الخانجي في القاهرة 1976م.
- 3- الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، شاکر محسن آل سعيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.
- 4- آفاق غرناطة، عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة دمشق، ط1، 2000 م
- 5- الأندلس في التاريخ، شاکر مصطفى، دار إشبيلية، سوريا 2002م.
- 6- الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، أبو محمد السافي وابن الخراط الإشبيلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد 1990م.
- 7- بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، دار القاهرة، 2004م.
- 8- تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغربي، صادق احسان، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تلمسان 2001م.
- 9- تاريخ افتتاح الأندلس، ابن القوطية، دار الكتاب اللبنانية، بيروت 1992م.
- 10- تاريخ العرب السياسي في الأندلس، سعدون نصر الله، دار النهضة العربية، بيروت 1990م.

- 11- الحضارة العربية في الأندلس، سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية. ط2. 1999 م.
- 12- الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية، عبد الجبار حميدي محيسن المكتبة الوطنية، عمان 2005م.
- 13- الخط الكوفي في مساجد تلمسان، عبد الله ثاني قدور، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تلمسان 2001م.
- 14- ديوان ابن زمرك ت: توفيق محمد ، ط1، دار الغرب الإسلامي 1997م.
- 15- ديوان لسان الدين بن الخطيب، ت محمد مفتاح دار الثقافة، المغرب 1989م.
- 16- رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، حسن مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة 1964م.
- 17- الزخرفة الإسلامية، فداء حسين أبو دبسه، مكتبة المجتمع العربي، عمان 2009 م.
- 18- العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، باسيليو بابون مالدونادو ترجمة إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.
- 19- غرناطة وآثارها الفاتنة، عبد الرحمان زكي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- 20- فن الرقوش في الشعر الأندلسي، ايمان الجمل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية.

- 21- فن الزخرفة الإسلامية، عبد الله ثاني قدور، دار الغرب للنشر و التوزيع ط1، 2000م.
- 22- فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية، عز الدين فراج، دار الفكر الكويت.
- 23- في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة بيروت لبنان 1972 م .
- 24- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، أبو عبد الله الشريف الإدريسي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م.
- 25- قصور الحمراء، ديوان الحضارة والنقوش العربية، محمد الجمل، مكتبة الاسكندرية 2004 م.
- 26- الكتابات العربية على الآثار الإسلامية حتى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة، مايسة محمود داود، القاهرة مكتبة النهضة المصرية 1991م.
- 27- الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء، خليفة شعبان عبد العزيز العربي للنشر والتوزيع، 1989م.
- 28- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، ابن الخطيب، ت محمد كمال شيبانة دار الكاتب العربي، القاهرة.
- 29- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر، تحقيق إحسان عباس، بيروت لبنان 1988م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
أ	مقدمة
1	المدخل
2	الموقع الجغرافي لبلاد الأندلس
3	الفتح الإسلامي للأندلس
5	مكانة الأندلس الفنية في الحضارة الإسلامية

الفصل الأول

8	العمارة الإسلامية في الأندلس
12	مكونات المدينة الأندلسية
14	الزخرفة الإسلامية وخصائصها
17	عناصر الزخرفة العربية الإسلامية
18	الأساليب الفنية للزخرفة العربية الإسلامية
19	الزخرفة الخطية وأنواع الخطوط

الفصل الثاني

25	قرطبة
26	مسجد قرطبة الجامع
29	الزخرفة الخطية في مسجد قرطبة

37.....	غرناطة
38.....	قصر الحمراء
42.....	الزخرفة الخطية في قصر الحمراء
70.....	الخاتمة
72.....	قائمة المصادر والمراجع
76.....	فهرس المواضيع